نجوم مختبئة

منه طارق

لم أكن أعلم أن السعادة تمشي، وتتحرك، وتبتسم، ويُسمع لها صوت، إلا بعد أن رزقنا الله إيّاكِ، قطعةً من الجنة سكنت منزلنا. لو رأيتُكِ في اليوم عشرَ مرات لشعرتُ بالسعادة مائةَ مرة. منذ أن رزقنا الله إيّاكِ، علمتُ أن بعض الهدايا أثمن من أن تُثمَّن، وأعظم من أن نشكر الله عليها.

إلى ابنة أخي الغالية، سارة هشام، أهدي هذه الرواية."

نجوم مختبئة

الفصل الاول

تخطو بأقدامها نحو الطائرة كمن يخطو نحو زنزانة السجن مودعًا شمس الحرية، وتودع بعيونها الباكيتين والدتها وأختيها اللتين تبكيان على فراقها، يغلق باب الطائرة عليها كإغلاق باب القبر ولا تدري هل تساق

إلى الجنة أم إلى النار، وتجلس على مقعدها مكبلة بحزنها ويثقل ذلك الحزن شعورها بالندم.

ركوب الطائرة والسفر إلى دولة أخرى كان أكبر من أن تحلم بهِ يومًا، ولم يخطر ببالها أنها عندما تركبها لأول مرة ستكون هربًا من شيء اقترفتهُ وفراقًا لعائلتها. فيذكرها هذا بما فعلت والذي أدَّى بها إلى الرحيل، وبغضبٍ تفتح حقيبتها وتخرج منها رواية كتب عليها نسيج الشيطان تأليف ياسمين المصري.

وتنهال عليها بأصابعها وأظافرها تمزق صفحاتها تمزيقًا حتى مزقتها عن آخرها، فلم تترك منها صفحة واحدة، حتى تحولت الأرض إلى فراش أبيض ممزق بصفحات روايتها، وفي نهاية هذا الفراش رأت أقدام المضيفة فارتفعت ببصرها، آه جميع مضيفات الطائرة يقفن في ذهول مما فعلت ونظرات التساؤل على وجوههن!

ثم نطقت أحداهن قائلة: آنستي هل أنتِ بخير؟!

فتخجل وتكتشف أنها لم تكن بمفردها مع حزنها وغضبها، بل هناك آخرون على متن طائرة الحزن والغضب، ردت بخجل: أجل أنا بخير، آسفة على إزعاجكم.

وغير قلمها ودفترها ما كان لها من صديقٍ تحكي لهُ حزنها، ففتحت حقيبتها وأمسكت بصديقها وفتحت صفحة جديدة بيضاء تحاول أن تكتب، فلا تجد القلم يكتب سوى قصتها الحزينة التي تعيشها الآن.

عقلها لا يسعفها بأي من قصصه الجميلة وتخلى عنها الإلهام الذي كان يعشقها فتوارى خلف أحزانها في خجلٍ منها لا يود العودة حتى تهدأ، وبحر خيالها قد جف وفي قاعه لن يتبقى سوى صخور الحزن والندم، فتهرب من كليهما بالنظر إلى نافذة الطائرة، لتجد الطائرة تطير بجانب رحلة حياتها منذ البداية..

كانت تجلس في غرفتها سعيدة بعد أن كتبت عشر قصص جميلة في دفترها الذي اشترتهُ بعد ادخار مصروفها لشهرٍ كامل، فتح باب غرفتها.. ففزعت واغلقت دفترها بسرعة، ولكنهُ كان قد لاحظهُ، تقدم نحوها والدها خطوات وامسك بالدفتر وقرأ بعض من كلماته، ثم هوى على وجهها الأبيض كالسحابة بصفعة قوية أذابت بياض وجهها ليحل بدلًا من البياض آثار أصابعهِ من الألم، ثم مزق صفحات دفترها وهو يصيح في وجهها الخائف بعنف قائلا: هل أشقى طوال نهاري لأوفر لكِ طعامكِ وملابسكِ ومصاريف مدرستكِ لتذاكري وأنتِ تكتبين قصص تافهة عن العشق؟!

صفعتها كلماتهُ في قلبها أكثر من صفعة يده، لم تكن تكتب قصصًا تافهةً عن العشق، بل عن الحب الطاهر الذي لا خبث بهِ ولا حرام، وما كانت يومًا كلمات الكاتب قصصًا تافه نضيع بها أوقاتنا، بل إنها رسائل لمن يستطيع أن يقرأها ويدرك معناها.

مضت سنوات وأصبحت هذه هي الذكرى التي ارتبطت في عقلها عن الكتابة، إنها تغضب والدها، حتى بعد وفاتهِ بسنوات لم تطلق أناملها على الورق مرة ثانية، بل ظلت كلماتها حبيسة في سجن الخوف، متجمدة على أطراف أناملها، لا تذوب أبدًا لتتحول لكلماتٍ في بحر

أوراقها، حتى عند قدوم الصيف الذي يذيب الجليد تظل كلماتها جامدةً في عقلها وقلبها.

وسارت على نصيحة والدتها كلمة.

كلمة: "ياسمين يا بنتي ذاكري كويس عشان تجيبي مجموع وتدخلي كلية عشان تتوظفي وتساعديني في المصاريف يا بنتي أربي أخواتك".

وذاكرت ياسمين، ودخلت كلية الآداب، وتخرجت في قسم اللغة العربية بتقدير جيد جدًا، ودارت بشهادتها على كل المدارس سنوات وأغلقت كل المدارس أبوابها في وجهها، "معندناش شغل، مش محتاجين مدرسين، الشهادة دي بليها واشربي ميتها".

ظلت وحيدة في غرفتها لا أنيس لها سوى الفشل في العثور على عمل، تحاول الهرب منهُ بأي وسيلة، فتحت باب خزانتها بغضبٍ فوقع أسفل قدمها ورقة بيضاء سميكة، تناولتها لتقرأ ما كُتب بها في الوجه التالي، فتذكرت أنها كانت كاتبة وهي صغيرة، وقد نالت هذه الشهادة التقديرية عن إحدى قصصها، استيقظ شيء بداخلها وسمعت صوت القلم يطرق باب الخزانة لتفتح باب كلماتها من جديد فتفيض بنهرٍ من الكلمات التي لا حد لها، كنهرٍ حُبس فيضانهُ منذ أعوامٍ بسبب سد من الصخور وظلَّ السد يحبس فيضان النهر حتى زاد عن طاقتهِ فهدم سد الصخور وجرى في مساره الطبيعي بدون توقف.

لقد كتبت سبع روايات، ذاكرة النيل، أطفال الجحور، واحة الخوف، الأصدقاء في الأرض المسحورة، في وادي الملوك، لؤلؤة القرصان، مذكرات سرية من قصر الملك فاروق، وكل رواية كلوحةٍ جميلةٍ رسمها

فنان مبدع من وحي الخيال. كل رواية منها تريك كلماتها ما كان يحدث في خيالها، فالكتابة هي لوحة من الكلمات الفنان يرسم بالريشة والكاتب يرسم بالكلمات والقلم.

للمرة الثانية اشتكت الأرض من أقدامها التي أزعجتها من كثرة خطواتها وهي تسير فوقها إلى دور النشر على أمل أن تقبل أي دور نشر أحد رواياتها.

دور النشر الأولى نظرت لها بعين الكبر قائلةً: لا ننشر سوى لكبار المؤلفين، ودور النشر الثانية: تحتاجين لخمسين ألف جنية لكي ننشر أولى رواياتكِ ونسوق لها وتصبحي مشهوره، والثالثة: روايتكِ ضعيفة لا أمل في نجاحها، والرابعة، والخامسة، والسادسة، والسابعة، أصبحت مجرد أرقام حتى أغلقت كل دور النشر الأبواب في وجهها.

كفت قدميها عن السير وجلست وحيدة تبكي في غرفتها، لقد كانت هذه الروايات هي أملها الوحيد، بعد أن يئست من العثور على عمل، والآن ضاع حتى هذا الأمل، أخذت تبكي وتمسح دموعها وهي تخفى دفاترها ورواياتها في غرفتها وسط الظلام، فقد ينسيها هذا حزنها وفشلها، ثم فتحت والدتها باب الغرفة فأضاء شعاع من النور علي وجهها الحزين وعيونها الباكيتين، وقالت والدتها بابتسامة: صديقتكِ سمر عادت من السفر وجاءت لمقابلتكِ.

شهقت من الفرحة وهي تقول: سمر!، وحلَّقت إليها تأخذها بالأحضان، وبعد أن جلسا في غرفتها بعيدًا عن الجميع قالت لها سمر: ياسمين أنتِ تخفين خلف الابتسامة شيئًا حزينًا، ماذا بكِ أخبريني؟

انهالت عليها ياسمين بقصتها المحزنة حتى وصلت إلى النهاية. فانفجرت سمر بالضحك وسط نظرات ذهول ياسمين من ردة فعلها، ثم قالت سمر: لا بد أنكِ لا تزالين تعيشين في كهفٍ، ولا تعلمين كيف يسير العالم، لو أردت أن أخبركِ إلى أين انتهى العالم الآن سيتركني العالم خلفهُ ولن ألحق بهِ، فقط أعطيني هذه الروايات، أنا متأكدة أنها جيده، لأني أعرفكِ وأعرف موهبتك، وبعد حوالي ثلاثة شهور انتظري الأموال التي ستتدفق عليكِ بانتظام أضعاف الوظيفة التي كنتِ حزينة عليها، وأنا منذ هذه اللحظة لست صديقتكِ فقط، بل ومديرة أعمالك التي ستصل بكِ للشهرة والثراء أعدكِ بذلك.

نفذت سمر وعدها وترجمت الروايات للغة الإنجليزية والتركية، ونشرتها على الإنترنت، بل وتعلمت كيف تسوق لها، في البداية حققت الروايات دخلًا عاديًا كراتب شخص يعمل في وظيفة جيدة.

وكان هذا أكثر من رائع لياسمين ولعائلتها التي غطى العائد مصاريفها وبدون الحاجة للوظيفة، ورضيت عنها والدتها واعترفت بموهبتها، فأشعل هذا الحماس في قلبها من جديد، وجعلت قلمها يرقص، ويتمايل، ويرسم، ويغني، ويحلق على الورق حتى رسم وأبدع بأجمل رواية قد خطتها يدها، لم يمضِ على ظهورها للنور عدة أسابيع حتى ألتفت لها مخرج سينمائي عالمي وأخرج منها فيلمًا سينمائيًا ناجحًا وضع اسمها وسط أشهر الروائيين على مستوى العالم، وأضاءت هذه الرواية على الروايات السابقة فارتفعت مبيعات هذه الروايات وأصبحت تنعم برغد العيش هي وعائلتها.

وأصبح قلمها كحصان جامح قد فك قيده ليجري في حقول الكلمات والخيال كيف شاء، ويجري خلفة عيون القرَّاء حيثما ذهب في حدائق الروايات، ثم انقلب فجأة الحصان في يدها إلى قلم أسود، وأفرغ حبرهُ المظلم الذي في أحشائه في رواية نسيج الشيطان، وما أصبح حبرهُ أسود إلا بسواد ظلم أحد أنظمة الحكم في دول المنطقة، فنال القلم منهُ وهو يختبئ بين سطور الرواية وخلف كلماتها ويرتدي رداء القصة، وما لبث حتى رأت العيون وفطنت العقول ما تخفية صفحات الرواية بين طياتها وسطورها وبدأت تدفع ثمن كلماتها.

وفي أيام قليلة تبدأ مخابرات تلك الدولة في البحث عنها.

يرن جرس الهاتف وسط الليل فيفزع الجميع منهُ وتكتشف أنه أحد الأقارب فأجابت ياسمين:

- ألو.

فيجيب من على الطرف الثاني قائلًا:

- نعم يا ياسمين يا بنتي استمعي إليَّ جيدًا، مسؤول مهم في الدولة أخبرني أن المخابرات الخاصة بالدولة التي انتقدتيها في الرواية عرفت اسمك الحقيقي وقد يطلبوا من المسؤولين أن يقبضوا عليكِ ويحاكموكي بتهمة الإساءة لنظام الحكم في دولة صديقة، أو على الأقل سيتم وقفك عن الكتابة للأبد ويضيع مستقبلك، نصيحتي لكِ أنقذي نفسك يا ابنتي واهربي.

نظرت لها والدتها وأختاها بعد أن أيقظهما صوت الهاتف وسألت والدتها في لهفة ماذا هناك؟ لم تستطع ياسمين الإجابة وبماذا ستجيب؟

اتصلت بصديقتها المقربة وروت لها ما حدث وكان جوابها: استمعي إليَّ جيدًا وستنجين منهم جميعًا، ثم رسمت لها الخطة، لا تسافري مباشرة على الدولة التي سوف تستقرين بها لأنهم سيعرفونها من رحلة الطيران، لا بل سافري إلى دولة أخرى ثم إلى دولة ثانية ومنها إلى الدولة التي سوف تستقرين بها حتى نضللهم عندما يحاولون اللحاق بكِ.

لم تكن تعلم أن ثمن كلمة الحرية بهذه القسوة، أن تترك وطنها وعائلتها.

وصلت الطائرة إلى وجهتها الأخيرة بعد أن تنقلت في ثلاث رحلات، يفتح باب الطائرة وقد أصبحت تخشى الأبواب عندما تفتح وهي لا تعلم ماذا تخفي خلفها.

لقد شعرت بالغربة من قبل أن يفتح باب الطائرة! ولكنها رحلت للتو عن وطنها الذي عاشت بهِ تسع وعشرون عامًا، حتى الأرض التي تقف عليها الآن غريبة عنها لا تألفها قدميها، وأمسك شعور الغربة الذي بداخلها بشعور آخر هو الندم على ما فعلت، فلولا هذه الرواية المشؤومة لما تركت وطنها.

صديقتي العزيزة الروائية المشهورة ياسمين المصري، التفتت ياسمين لهذا الصوت المرتفع، إنها صديقتها سمر ترحب بها وهي تنتظرها في المطار، كان من الطبيعي أن تقرر الذهاب للعيش معها، فهي الوحيدة التي تعرفها وتثق بها وتقيم في الخارج، فقالت ياسمين وهي تحتضنها: اخفضي صوتك، لا أود من أحد أن يتعرف عليَّ.

فترد سمر وهي تمسك بيدها: صديقتي، لقد خرجتِ من مصر لماذا تخافين؟

- وهل عندما كنت في مصر كنت أظهر نفسي للآخرين؟ هل نسيتِ مبادئي؟ لا أحد يعرف اسمي الحقيقي، لا أحد يرى وجهي، لا أحد يتعرف عليَّ.

ردت سمر في سخرية: لم أنسَ مبادئك، بل نسيت أنكِ مجنونة تكره الشهرة ولا تظهر للأضواء، فقط كلماتك هي التي تظهر للجميع وأنتِ تظلين مخفية كالظِّل تختبئين خلفها بدون أن تظهر ملامحك التي تميزك عن الجميع.

- وفي كلماتي يظهر كل ما أود منهُ أن يصل للناس وهذا يكفي.

ردت سمر بسخط

- ستظلين للأبد بالنسبة لجمهوركِ مجرد اسم مشهور دون أن تحصلي على مكاسب الشهرة الحقيقة، ثم غيرت نبرة صوتها الساخره وقالت: على كل حال لا تعلمي كم أنا سعيدة بقدومك للعيش معي، سنعيش معًا مجددًا، وفي قصر واحد.

استغربت ياسمين كلمة قصر، ولكنها لم تقف عند هذه الكلمة، وسارت مع سمر التي تمسك بيدها بحرارة.

أجل إنهُ القصر، سمر كم هي شخصية ماهرة تساعدك بقدر المستطاع وتدفعك للنجاح، وفي نفس الوقت تعلم كيف تستفيد بوجود كل شخص بالقرب منها، ولذا فعندما علمت أن صديقتها قادمة للعيش معها أسرعت

باستئجار قصرٍ صغيرٍ، ولكنه فخم وجميل يقع في أغنى حي من أحياء إسطنبول؛ لأن ياسمين الآن ستدفع معها نصف إيجاره، وبالتالي ستعيش في طبقة أغنى وبمال قليل.

كل شيء محسوب لديها بدقة، هذا القصر سيجعلها تعيش بين الأثرياء، وفي نفس الوقت هو صغير وإيجاره هو أرخص إيجار في مناطق الأثرياء فتحصل على الأمرين معًا؛ رفاهية كبيرة وبمال أقل، جميع الأثرياء حولها، وهذا أكثر ما تسعى إليه.

وصلت سمر بياسمين للقصر ونظرات الاستفهام على وجه ياسمين: كيف يمكنها أن تسكن في قصر كهذا وهي تعمل مدرسة! وقبل أن تسأل ياسمين قالت سمر: لا تبدئي في التساؤل، سأجيب على كل أسئلتك فيما بعد، الآن سأريكِ غرفتكِ.

لم تتحمل ياسمين طويلًا فقالت: أنتِ تعملين مدرسة للغة العربية فكيف لكِ أن تدفعي إيجار هذا القصر؟!

ردت وهي تمسك بفنجان القهوة بثقة: أعمل في الصباح معلمة للغة العربية في مدرسة، ثم بعد الظهيرة أعمل في مركز لتعليم اللغات، حيث أعلم الإنجليزية التي أتقنتها باحترافيه، وباقي اليوم لمدة ثلاثة أيام أعلم المهاجرين إلى تركيا اللغة التركية، فأنا أجيد العربية والتركية، فأستطيع التواصل معهم، ولذا فأنا أحصل على ثلاثة رواتب في الشهر.

ردت ياسمين وهي تنظر لها باستنكار:

- ثم تنفقين الثلاثة رواتب على القصر والرفاهية هذا جنون! قالتها بوجه متجهم.

- لا ليس جنون، فتلك الطريقة ستقودني للزواج من أحد الأثرياء وأظل ثرية ما بقي من حياتي.

ردت ياسمين بنبرة بعض السخرية

- وما الذي يجعلكِ واثقة من الأمر؟ فقد تنفقين كل أموالك على هذه الاوهام ولا تنجحين في النهاية.

ردت وهي تعيد فنجان القهوة: لا يا صديقتي، لقد وضعت خطة وواثقة من نجاحها، فأنا أدرسها منذ وقت وبدأت في تنفيذها بالفعل بهذا القصر والعيش في ذلك الحي المليء بالأثرياء.

كانت ياسمين تتأمل كلامها فقالت

- لماذا لا تحاولين أن تكوني أنتِ ثرية بدلًا من الجري خلف رجل؟

ردت وهى تضحك

- لست موهوبة مثلك لأصبح ثرية في ثلاث أو أربع سنوات هذا إذا حالفني الحظ مثلك من البداية، ولن أظل أكافح لسنوات حتى أصل للثراء بعد أن شاب شعري وخسرت شبابي، لذا سأتبع الطريق الأقصر والأسهل للثراء.

ردت ياسمين بصوت هادئ: بقدر الصبر على الكفاح يكون النجاح، كما أنني أعمل عليه منذ تسع سنوات، ولكن بدأت الحصول على النتائج منذ ثلاث سنوات فقط.

نظرت لها سمر بتمعن وقالت: يا لكِ من موهوبة غبية، لو كنت في مثل مكانك لكنت بسبب شهرتي وموهبتي قادرة على الزواج من أثرى شاب في مصر أو تركيا، فأنتِ موهوبة، وتمتلكين وجهًا بريئًا، ومشهورة، لكن ماذا أقول عنكِ غير أنكِ صديقه لي وللغباء أيضًا.

ضحكت ياسمين وقالت: لا أحب تلك الأفلام التي تشاهدينها كثيرًا.

لم ترد سمر، وإنما أمسكت بكتاب باللغة الإنجليزية، وبدأت تقرأ، فقالت ياسمين: هذا رائع، لقد بدأتِ بقراءة الكتب، لم تكوني تحبينها من قبل، عن أي شيء هذا الكتاب؟

- إنهُ كتاب عن.. ثم ترددت في متابعة حديثها وكأنها لا تود أن تجيب، ثم قالت وهى تخفي وجهها خلف الكتاب : لا تصرخي، إنهُ عن فن الإغراء.

شهقت ياسمين وقالت: أعوذ بالله أعوذ بالله.. فقاطعتها سمر قائلة: فن إغراء الجمهور، كيف تكونين مشهورة ومميزة بين الناس من دون أن تمتلكي أي شيء، إنهُ كتاب رائع.

تقوص حاجبي ياسمين ونهضت واتجهت لباب غرفتها وهي تقول: سأذهب للحديث مع عائلتي، لقد اشتقت لهم، يا رب مؤلف هذا الكتاب يموت محروقًا، سلام.

وانصرفت إلى غرفتها بينما سمر تضحك وهي تقول: حتى وإن مات محروقًا فقد حصلت على نسخة من هذا الكتاب.

مضت عدة أسابيع ولم تخرج ياسمين من القصر مطلقًا، في الحقيقة هي لم تخرج من حزنها المسيطر عليها، وعندما يستبد بها الحزن أكثر تخرج فقط في حديقة القصر الصغيرة حتى تألف المكان وتعتاد عليه، وبعدها تعود لتتحدث مع عائلتها باستمرار.
كانت لا تزال حزينة بسبب رحيلها عن مصر وتحاول التكيف أولًا على الحياة بعيدًا عن عائلتها، وبينما هي تفكر في حياتها وما يحدث لها وجدت ما يحدث في حياة صديقتها يقتحم تفكيرها بقوة ويسحبهُ للتساؤل عن تلك الأشياء الغريبة غير المفهومة التي تحدث لها.

هاتفها أصبح لا يتوقف عن الرنين طوال الوقت وهي تجيب بسرور وتجلس على الأريكة بثقة تامة واضعة قدم على الاخرى، وتظل تحكي وتحكي معظم المكالمة، وهي تضحك بصوت مرتفع بطريقة متعمدة وكأنها تسخر من أحدهم في كلامها، أنا لا أُجيد اللغة التركية أو الإنجليزية، ولكن لغة الجسد يمكن فهمها بالفراسة، طريقة حديثها وكأنها تسخر من أحدهم بحديثها عنهُ.

استحت ياسمين أن تسألها، ولكن الأمر يزداد غرابة، لقد بدأ صحفيون يحضرون إلى القصر، أجل بالتأكيد إنهم كذلك معهم كاميرات ويجلسون معها ويسألونها، وهي تجيب بنفس الطريقة المعتادة، ويلتقطون لها صورًا في أرجاء القصر والحديقة، وفى كل يوم تأتي بفساتين باهظة الثمن.

كانت ياسمين تتعجب كيف ستدفع ثمنها، ثم اكتشفت إنها تستأجرها لأنها تعيدها في اليوم التالي وهكذا.

بدأ الظن يدور في رأس ياسمين: هل تكون تنوي أن تَشي بي؟ فالجمهور منذ الرواية الأخيرة أصبح لديه فضول لا يطاق للتعرف عليَّ، وهناك إشاعات تتردد حول القبض عليَّ أو اضطهادي، مما يجعل الأمر أكثر تشويقًا بالنسبة للناس، أم إنها انتحلت شخصيتي وتتاجر بها؟

ومن يدري فأنا لا أعرف ما تقوم بهِ وأنا كالبلهاء بجانبها، يا ألله ساعدني، أتمنى أن أكون مخطئة وأكون قد أسأت الظن بها، هي صديقتي منذ سنوات وساعدتني كثيرًا.

والآن ماذا أفعل؟ لا بد لي أن أعرف ما تقوم بهِ صديقتي.

استمرت ياسمين في مراقبتها لتجد أشياء أكثر غرابة، حيث تجدها في الصباح تخرج خفية من باب القصر الخلفي وهي حريصة ألا يراها أحد، وترتدي ملابسها العادية البسيطه، أما في أوقات أخرى تجدها شديدة الحرص بأن تخرج والجميع يراها، فتحدث جلبة أثناء خروجها من القصر بتلك الفساتين الجميلة عندما يكون هناك صحفي أو أحد الجيران، والأغرب في الأمر أنهُ تكون هناك سيارة فارهة في انتظارها أمام القصر!

لم تتمالك ياسمين نفسها طويلًا والظن يزداد في صديقتها يومًا بعد يوم، حتى ذهبت إلى صديقتها التي كانت تغلق الهاتف وتضعهُ على الطاولة

وهي تقول: لقد سئمت من الرد على الهاتف، سأغلقهُ قليلًا، بينما ياسمين تنظر لها تكاد أن تنفجر، وقبل أن تنبس بكلمة قالت سمر: أعرف ما ستسألين عنهُ.

ردت ياسمين: حقًا! إذن أخبريني.

ردت سمر وهي تعيد تنسيق شعرها بثقة:

- بالطبع تتساءلين حول هؤلاء الصحفيين وكل هذه المكالمات التلفونية، وتقولين ماذا يحدث؟ وماذا تفعل هذه المجنونة لتحظى بكل هذا الاهتمام أليس كذلك؟

ردت ياسمين بغضب: أريد أجوبة وليس شرحًا لما يدور في رأسي، فأنا أعلم ما يدور في عقلي.

وكانت على وشك أن تتهمها بالخيانة فقالت: أنتِ.. فقاطعتها سمر قائلة: أنا فتاة ذكية، وقد وجدت الطريقة المثلى للثراء في أقصر وقت، فبعد أن قرأت ثلاثين حيلة من حيل الإغراء المتنوعة اخترت الطريقة المثلى لي وقمت بتعديلها لتتناسب معي، ثم صمتت.

فقالت ياسمين ونظرات الشك في عيونها: هيا أكملي، ما هي تلك الوسيلة يا صديقتي الوفية؟

- سليم سليمان.

نظرت لها ياسمين في قلق: ما هذا؟ أجيبيني، لم أفهم شيئًا.

تابعت سمر وهو تنظر للمرأة وتمشط شعرها

- سليم سليمان هو رجل أعمال تركي من أصل مصري، في الثلاثينيات من عمرهِ، غير متزوج، وهو من أغنى أغنياء تركيا.

ابتسمت ياسمين وأشارت لسمر بإصبعها وهي تقول: إذن أنتِ تخططين للزواج منهُ؟

- بالطبع لا.

ردت ياسمين وهي تمسك برأسها وتقول: يا ألله، سأفقد عقلي، إذن ماذا تفعلين؟

- سأتزوج أحد الأثرياء الآخرين.

- إذن لماذا ذكرتِ اسم ذلك الشاب أولًا؟!

- لأنهُ هو الوسيلة التي سأستخدمها للزواج من ثري آخر.

وقفت ياسمين من على مقعدها وقالت: إذا لم تفهميني ما هذا الجنون الذي تقومين بهِ فسأضربك على رأسك، قد تعود لصوابها.

ضحكت سمر وقالت:

- لقد ادعيت أن هذا الثري سليم سليمان يرغب في الزواج مني ويلاحقني ويتقرب إليَّ، ولذا فقد التفتت إليَّ الصحافة ومواقع التواصل الاجتماعي بشكل غير مسبوق وكل شيء جاهز تمامًا للصورة، فأنا أسكن في قصر جميل، وأرتدي ملابس فاخرة وجميلة، واستأجر سيارة فارهة بسائق كلما كنت ذاهبة لأحد المناسبات مع الأغنياء، وهذا سيجعلني حلمًا لعدد من الأثرياء، فأحدهم سيرغب في الزواج مني لأنني أنا من كان يلاحقني

سليم سليمان صاحب ثروة تقدر بمليارات الدولارات، فلا بأس بأن أتزوج ثريًا يمتلك مليار أو مليارين وأصبح ثرية، ألست عبقرية أنا؟ قالتها بحماس وهي تقفز وترفع يدها وكأنها تزوجت للتو.

صرخت ياسمين بها قائلة: لن أتحدث عن كذبكِ على هذا الرجل لأن هذا الأمر لا يهمكِ، ولكن أيتها المجنونة ألم تفكري فيما سيفعلهُ بكِ هذا الرجل الثري عندما يعلم بكذبكِ عليه؟!

ضحكت بثقة وقالت

- هو لن يعلم؛ فهو مشغول ويسافر كثيرًا؛ لأن شركتهُ لها فروع في دول أخرى مثل مصر.

تابعت ياسمين وهى تجز على أسنانها

- وإذا علم بهذا الكذب فإما أن ينتقم منكِ وهو ذو نفوذٍ، وإما أن يخرج للناس ويكشف كذبكِ عليه، وستظهر حقيقتكِ المزيفة للجميع.

انتهت سمر من تمشيط شعرها وجلست على الكرسي براحه تامه وقالت

- صديقتي، لقد اخترت هذا الشاب بعناية، فهو لا يظهر أبدًا للصحافة، وليس لديه أي صور على مواقع التواصل الاجتماعي أو غيرها مما يجعلهُ شخصًا يرغب في الاختباء مثلكِ أيتها المجنونة، وهذا يمكنني من أن استمر في الكذب عليه كما أشاء.

- وماذا لو حدث أن وصلت الإشاعة لهُ؟

ضمت سمر يدها إلى صدرها وقالت بنبرة صوت رقيقة للغاية:

- عندها سأدعي إنني مجرد فتاة بريئة وجدت نفسها محاطة بهذه الإشاعة الكاذبة التي دمرت حياتها مثلهُ تمامًا.

زفرت ياسمين وقالت

- سمر يا صديقتي، الناس لديها عقول وسيسألون بعد قليل إذا كان صديقكِ لماذا لا يظهر معكِ؟!

- ياسمين أنتِ لم تصغِ جيدًا لما ذكرت، هو لا يظهر للناس، ولذا فالناس لا يعرفونهُ، فقد يرون أي شخص معي ويظنونهُ هو، أو يمكنني أنا أن أخبرهم بأي شخص أنهُ هو، ولن يكتشفوا؛ لأنهم لا يعرفون سليم سليمان الحقيقي.

- وماذا ستفعلين في النهاية بهذا الكذب؟ ماذا ستقولين بعد مضي وقت بدون الزواج منهُ؟

- عندما أحصل على الشهرة المطلوبة ويتقدم لي أحدهم للزواج مني عندها سأقول إنني رفضت طلبهُ للزواج بي؛ لأنهُ شخص كثير الانشغال، وحياتهُ غير طبيعية، وأتزوج من أكثر شخص ثري قد تقدم للزواج مني.

اقتربت منها ياسمين وهي تقول: صديقتي الأمور لن تسير على هذا المنوال، أو هذه الخطة التي تبدو محكمة ستنفلت الأمور من يدكِ ويفسد الأمر كلهُ، أنهِ هذا الأمر من البداية قبل أن تزداد الأمور سوءًا.

ردت سمر وهي تغادر الغرفة : لا إنها مثالية، وسأكمل بها حتى النهاية.

جلست ياسمين في غرفتها تفكر في سرها وتقول: في البداية كتبت رواية قلبت حياتي رأسًا على عقب فغادرت بلدي على حين غرة، والآن أنا أجد نفسي مغموسة في حياة صديقتي المجنونة، أشعر أن حياتي الآن أصبحت رواية، أجل إنها رواية غير واقعية على الإطلاق، بل مجنونة جدًا!

في مكان آخر

كان يجلس في مكتبه الفاخر في شركته العملاقة في كامل أناقته يرتدي بدلة سوداء باهظة الثمن على الرغم من انشغاله الشديد في عمله إلا أنه يهتم بمظهره بشكل مبالغ فيه، كان يقوم ببعض الأعمال، عندما طرق الباب السكرتير وهو يقول: مدير أعمالك وصديقك أوغلو قد عاد بعد إنهاء أعماله ويرغب في مقابلتك.

رد وهو يقوم بإمضاء بعض الأوراق: لتجعلهُ يدخل، فلدي ربع ساعة قبل مغادرة الشركة والعودة إلى قصري.

دخل مدير أعماله أوغلو وصديقه وتصافحا وحدثهُ عن العمل الذي يسير بشكل جيد، وبعد أن أوشك أن يغادر المكتب قال لهُ أُوغلو: سليم أود الحديث معك في أمر لا يخص العمل، ولكن يخص حياتك الشخصية.

رد وهو يرتدي معطف بدلته باستغراب: حياتي الشخصية ماذا هناك؟! هيا لنتحدث ونحن في طريقنا للخروج، فأنا مرهق وأريد العودة للقصر.

سار الاثنان ودخلا إلى المصعد وبدأ المصعد بالهبوط، فقال: هيا أخبرني عما جئت من أجله؟ فرد أُوغلو بقليل من الخجل.

- صديقي أنا أعرفك منذ سنوات، ولقد تعاملت معك في مناسبات ومواقف مختلفة، حتى إنني كونت صورة عنك بشكل مقرب، ولم أرك يومًا مع النساء، أو متخذًا أي فتاة رفيقة لك.

ظهرت ابتسامه خفيفه على وجهه وقال

- وماذا بعد هذا الحديث الذي لا أفهمهُ يا أُوغلو؟

ظهر الخجل على وجه أُوغلو أكثر، ولكنهُ قال: الجميع على مواقع التواصل الاجتماعي، بل وبعض الصحفيين يتحدثون عن أنك تسعى للزواج من إحدى الفتيات وهي تتدلل عليك، وأنا أشك في أن هذا الأمر صحيح.

رد الثاني باندهاش: ماذا؟! لا أعرف شيئًا عما تقول، هيا أخبرني ما الأمر؟

وبعد أن استمع للقصة كما رواها الصحفيون هبطت الكلمات على أذنيه كالصاعقة، وهبط المصعد إلى الطابق السفلي.

توقف المصعد ورد هو بنبرة صوت يملؤها الغضب: اجمع لي كل المعلومات عن تلك الكاذبة، وأنا سأعلم كيف ألقنها درسًا لن تنساه.

أوقفهُ صديقهُ أمام المصعد وهو يحاول المغادرة بغضب وقال:

- سليم لست بحاجة لجمع معلومات عنها، فقط اخرج في لقاء صحفي وأعلن تكذيب كل ما تقول، وينتهي الأمر، وتنتهي هي بكذبتها الدنيئة.

التفت لهُ والغضب لم يغادر عيونهُ ووجهُ وقال:

- لقد ظللت لسنواتٍ لا أخرج في لقاءات ولا أنشر صورًا أو ما شابه لكي أحافظ على خصوصية حياتي وأسرتي في المستقبل بعد الزواج، والآن أفسد كل ذلك وأخرج للعلن؟ وبعد ذلك تتبعني الصحافة أينما ذهبت، ولن أستطيع أن أمارس حياتي بشكل طبيعي كما هو الآن، لا، لن أفعل ذلك، فقط اجمع لي كل المعلومات عنها، وأنا سأتولى الأمر، أريد المعلومات عنها كاملة قبل هذا المساء.

رفع أوغلو يده وهو يشير بإصبع الابهام

- أجل كما ترغب يا صديقي.

عاد هو بصحبة غضبه لقصره ولم يتناول غداءهُ ولم يجلس مع والدهِ، بل ظل ينتظر مكالمة مدير أعمالهِ حتى رن هاتفهُ فالتقطهُ كمن يلتقط طوق النجاة وأخذ مدير أعمالهِ يخبرهُ بمعلوماتها الحقيقية حتى انتهى وأغلق هاتفهُ وهو يقول: إنها كاذبة في كل شيء، لست أنا فقط من كَذَبَتْ بشأنه، وتعمل معلمة! يا لهذه الحماقة!

خرج بنفس الغضب الذي عاد بهِ في الظهيرة عندما حل المساء وركب سيارته الفارهة وقادها ويحمل النية بتوبيخ تلك الكاذبة وتهديدها لكي تتراجع عن كذبها عليه.

بينما يقول لهُ صوت انتقامهِ اقتراحًا أكثر خبثًا، لماذا لا تقترب منها من دون أن تعلم أنك سليم سليمان؟ أجل ستكون هذه وسيلة لتلقينها درسًا أكثر صعوبة، ولكن كيف أفعل ذلك؟ وكيف أقترب منها دون أن تعلم من أنا؟ وبأي حجة؟

في القصر كانت سمر تستعد للخروج وتتزين وياسمين تشاهدها، فقالت سمر: حسنًا أيتها الصعيدية ألم تملى من الجلوس في القصر بمفردك؟!

فلم ترد ياسمين والإجابة واضحة تمامًا على وجهها، إنها في جوف الملل وتحت أقدام الحزن، فأكملت سمر: أنا ذاهبة الآن لحفلة نسائية لجمعية تديرها مجموعة من سيدات الأعمال، والثريات، وزوجات رجال الأعمال، وغيرهن من سيدات تركيا، فهل تذهبي معي؟

بدت ياسمين بأنها تحتاج فقط للقليل من الإقناع، فأكملت سمر: على الأقل ستستخدمين بعض العبارات التركية التي تعلمتِها، فالممارسة هي أفضل وسيلة لتعلم اللغة، وليس هناك رجال في الحفل.

ردت ياسمين بتردد

- أنا موافقة، ولكن لن نتأخر بالخارج، أليس كذلك؟

- أجل لن نتأخر، فقط ساعة وسنعود، فلدى عمل في الصباح الباكر، هيا ارتدي ملابسكِ بسرعه، فقط اتصلت على الشركة لترسل لي إحدى السيارات الفارهة، هيا.

ذهبت ياسمين لغرفتها وتجهزت للخروج، فسمعت صوت سيارة بالقرب من الحديقة، فنظرت من النافذة فرأت سيارة فارهة تقف أمام مدخل القصر مباشرة، فذهبت إلى سمر وقالت: لقد وصلت السيارة، ثم نظرت إليها وقالت: يا أله، ما زلتِ لم تنتهِ بعد! فقد انتهيت أنا وقد بدأت للتو.

ردت سمر وهي لاتزال تنسق فستانها: لقد جاءت السيارة بسرعة جدًا، اذهبي واركبي، وأخبري السائق أني قادمة خلال دقائق.

وقف هو بسيارته ينظر للقصر ونسي أنهُ من المفترض أن يختلس النظر، هكذا هم الشرفاء لا يتقنون الحيل السيئة، وبينما هو ينظر إذ بباب القصر يُفتح فأضاء النور من داخل القصر عليه، ضوء قوي، فنظر لهُ ورأى فتاة محجبة تخرج منهُ وتتجه له مباشرة وكأنها تنتظر قدومه أو تعلم مسبقًا!

وهو يفكر: لقد أخبرني أُوغلو أنها تعيش في هذا القصر المستأجر بمفردها، لا بد أنها هي، وأخذ يتأملها وهي في حجابها، وردائها الفضفاض الواسع، وهي تقترب فتظهر براءة ملامح وجهها كبراءة وجوه الأطفال، تسير بتواضع، وهو يقول في سره، حقًا كم أن المظاهر خادعة، من الذي يصدق أن هذه كاذبة!

وصلت إلى السيارة وهو ينظر لها بغضبٍ واندهاش، فهو لا يعلم بماذا سيخبرها إذا سألتهُ لماذا تقف أمام القصر؟

أما هي فظنت أنهُ غاضب لتأخرها في القدوم، فقالت بلغة تركية بالكاد تُفهم: آسفة على التأخير.

أما هو فاندهش أكثر عندما سمعها تتحدث التركية بصعوبة، وهو يتذكر، لقد أخبرني أُوغلو أنها تدرس التركية للمهاجرين!

بينما هي ظنت أنهُ لم يفهم ما قد نطقت بهِ، فقالت وهي تحاول مجددًا: سمر ستأتي في لحظات، وركبت السيارة بالمقعد الخلفي وسط اندهاشه، ثم لفت تفكيرهُ ما قد قالت، فقال باللهجة المصرية: إذن أنتِ لستِ سمر؟

ردت هي باندهاش أكثر: إنت تتحدث المصرية!

- بالطبع، لأنني نصف مصري.

ابتسمت وقالت

- هذا رائع، لقد أخبرتني سمر بأن المصريين كثيرون هنا.

- إذن أنتِ لستِ سمر، فأين هي ؟

- ستأتي في لحظاتٍ قليلة.

وجد هو فرصة لمعرفة الكاذبة دون أن تدري، وأثار فضولهُ هذه الفتاة، قد يكون خلفها أحد قصص المهاجرين وخاصه أن ملابسها متواضعه، وأراد أن يسألها، فقالت هي قبل أن يسأل: لقد أجبتني باللهجة المصرية عندما وجدت لغتي التركية ضعيفة، فكيف خمنت أنني مصرية؟!

كان يفكر بماذا يجيبها؟ هو خمَّن أنها مصرية؛ لأنهُ يعلم أن الكاذبة الأخرى مصرية، وهذه محجبة، و...

خرجت سمر من القصر فنظر كلاهما لباب القصر وقالت ياسمين: ها قد جاءت سمر اخيرًا.

ونظر هو لمن تكذب عليه ليجدها فتاة جميلة ترتدي ملابس متألقة، وتسير بتكبر وهى ترسم خطواتها، ثم ركبت السيارة بجانب الفتاة الأخرى دون أن تقول كلمة واحدة، وبغرورٍ نظرت له وقالت عنوان المكان بينما الفتاة الأخرى تقول: سمر لن تصدقي هذا، فالسائق مصري.

ردت الأخرى بدون اهتمام: تهانينا، فنظرت لها ياسمين، فأكلمت سمر: هذا ليس بالشيء الهام، ثم نظرت لهُ وهو يحدق بها وقالت: لماذا لم تتحرك بعد، هيَّا سأتأخر على الحفلة.

قاد السيارة بسرعة، لقد كان يفكر في حيلة ما، وعندما وصل إليهم وجد الحيلة تنتظرهُ مقدمًا، وهم يعتقدون أنهُ سائق، والآن وجد الأمر مسلٍّ أن يرى من تكذب عليه دون أن ترى وجههُ، وللفتاة الأخرى ذات الوجه البريء على النقيض تمامًا منها.

ثم قال وهو يقود السيارة: إذن أنتِ سمر صديقة سليم سليمان؟

ردت بغرورٍ وهي تلهو بهاتفها: لست صديقتهُ، هو يسعى لمصادقتي لكي يتزوج مني، ولكني لم أقبلهُ بعد.

رد هو وعلامات السخريه على وجهه: حقًا! وهل هناك أي أمل آخر لهذا المسكين يحيى من أجله؟!

نظرت لها ياسمين بانزعاج، بينما الأخرى لا تأبه لنظراتها.

فقالت ياسمين تود تغيير الحديث عن هذا الأمر: لقد كنت أخشى الخروج من القصر لأنني لا أجيد التركية، والآن هذا السائق يتحدث باللهجة المصرية، سوف أخذ رقم هاتفهُ لكي يقلني عندما أود الخروج وأنتِ في العمل.

ردت سمر: أجل أيها السائق، أعطها رقم هاتفك أنت وليس رقم الشركة، حتى إذا احتاجت إليك تأتي أنت وليس سائقًا آخر.

لم يعرف بماذا يجيب، وأعطاها رقم الهاتف وهو يقول: ولكني لست متاحًا دائمًا، وخاصة في الصباح.

ردت ياسمين: لا مشكلة، فأنا سأخرج عندما أود التنزه، وهذا لن يحدث كثيرًا، ربما مرة واحدة في الأسبوع، ولن تكون في الصباح الباكر.

ردت سمر : ها قد بدأتِ في التفكير بطريقة إيجابية، اعتبري الأمر رحلة وليس منفى، أنتِ في رحلة في تركيا، تنزهي وزوري كل المعالم والأماكن الجميلة، وكفى من هذا الحزن الذي يصاحبكِ منذ قدومكِ إلى هنا.

وهو يفكر في سره يا لهذه الصدفة الغريبة، لقد كانتا تنتظران سيارة أحد الشركات إذن وجئت أنا في الوقت المناسب، لا مشكلة من التسلية بتلك الكاذبة حتى ألقنها درسًا أقسى.

وفضولهُ أيضًا ذهب للفتاة الأخرى، تبدو خلفها قصة ليست عادية، يبدو هذا واضح من حديثهما معًا.

قطع تفكيره صوت الفتاة البريئة وهي تقول لهُ: ما هو اسمك حتى أسجلهُ على الهاتف؟

ردت سمر بتأفف: سجليه السائق وحسب.

فنظرت لها بعيونها البريئة وكأنها تقول: يا للكِ من سخيفة، ونظرت لهُ وقالت: اسمك، ما هو اسمك؟

كاد أن يقول سليم سليمان، فهذا سؤال تسهل إجابتهُ عندما تكون صادقًا، ولكن عندما تكذب يصبح كل شيء صعبًا ويحتاج إلى الدقة، ولكنه أمسك لسانهُ وقال: اسمي.. اسمي.. فنظرت لهُ ياسمين بتعجب وهي تقول: لماذا الجميع هنا يتصرف بغرابة؟

بينما الأخرى تضحك وتقول: هل نسيت اسمك أيها السائق؟!

فقال: اسمي أحمد، وأنتِ يا آنستي ما اسمكِ حتى أسجلهُ؟

ردت وهي تسجل اسمهُ: اسمي ياسمين.

رد هو بتلقائية تامة والابتسامة على وجههِ: يا لهُ من اسم جميل، أحب هذا الاسم؛ لأن اسم الفتاة التي أعشقها ياسمين.

ظنت أنه يريد الإطراء عليها فلم ترد، بينما أسرعت الأخرى بالقول بغرور: بالمناسبة هي صعيدية الثقافة ولا تقبل المجاملات في الحديث من الرجال.

فأسرع هو قائلًا: أنا آسف يا شقيقتي لن أكن أقصد.

لم تُعلق على ما قد قال، بل نزلت كلتاهما من السيارة في اتجاه الفندق، وهو ينظر لهما يود أن يعلم ماذا تفعلان في هذا الفندق؟ فليس مستبعد عن هذه الكاذبة أنها تستغل سمعتهُ في شيء ما، فانتظر حتى دخلتا إلى الفندق ونزل من السيارة يحاول تتبعهما.

وصلتا إلى بوابة أحد القاعات بالفندق وهو يتبعهما، وعندما وصل إلى البوابة قال للحارس الذي يقف على باب القاعة: ماذا بالداخل؟

رد الحارس: حفلة نسائية لأحد الجمعيات التي تديرها أثرياء تركيا من النساء.

عاد وجلس في الفندق وطلب عشاءه، فهو لم يتناول حتى الغداء بسبب الغضب.

دخلت سمر وياسمين القاعة، وأخذت سمر تصافح النساء وتحتضن هذه وتقبل تلك بسعادة، وعندما يسألونها عن ياسمين تتبسم وتقول: إنها ياسمين صديقتي، من أشهر الروائيات في مصر، وثرية أيضًا، ولكنها شديدة التواضع كما ترون.

كانت سمر تستغل ضعف ياسمين في اللغة التركية وتتباهى بها أمام النساء دون أن تدري، وياسمين تنظر إلى المكان والحاضرات فيه وتشعر أنها لا تنتمي إلى هذا المكان ولا من فيه، فهي مملكتها من الكلمات والأفكار، وليست مملكة مال أو أناقة الثياب.

ظلت تراقب تحركات النساء كيف يتحركن، وكيف هي لغة جسدهن التي لا تكذب كاللسان حتى ملت من مشاهدة مملكة المظاهر، فقررت أن تأخذ جولة في الفندق، فطابعهُ المعماري مختلف بالنسبة لها.

تجولت في أرجاء المكان، ثم جلست في أحد أركان الفندق وهي تشعر بالوحدة، وأمسكت بهاتفها فكتبت قليلًا على حسابها على مواقع التواصل، ثم عادت للصمت.

أنهى سليم عشاءه وكان يفكر هل يغادر أم يظل ليراقب تلك الكاذبة لبعض الوقت؟

أخذ يسير في الفندق يفكر فرآها جالسة وهي وحيدة تمامًا، تذكرهُ وحدتها بوحدته عندما جاء إلى تركيا مع والدهِ منذ خمسة عشر عامًا ولم يكن يجيد التحدث أو لديه علاقات، الفضول يقتلهُ ليعرف قصة هذه الفتاة. أجل لا بد أن خلفها قصة، فهي بدون عائلة، وحضرت منذ قليل، وعلى النقيض من صديقتها الكاذبة.

استغرق في التفكير فيها أكثر وأخذ يقول لا ينبغي ترك فتاة بريئة مثلها، عليَّ الاعتناء بها حتى لا تسقط مع من يسيء استخدام براءتها أو تتحول إلى كاذبة كصديقتها، لا بد أنها مرغمة على العيش مع صديقتها بسبب فقرها، فمظهرها متواضع للغاية، أنها ي مهاجرة، والمهاجرون في الغالب ما يمرون بظروف قاسية.

اقترب منها وهو يحاول أن يختلق عذرًا للحديث معها، فقد تخبرهُ بقصتها أو يعلم قليلًا عن صديقتها الكاذبة، وتتردد في أذنيه كلمات صديقتها إنها صعيدية لا تقبل المجاملات، ثم قال:

- السلام عليكم.

نظرت لهُ في تساؤل؟ وهو متعجب مع نفسهُ لماذا مندهشة هكذا من رؤيته؟

فقالت:

- أنت لا تزال هنا؟!

رد هو بتلقائية تامة:

- أجل ما المشكلة ؟

ردت باندهاش أكثر:

- ألم تعد إلى عملك؟

- عمل! أي عمل؟

- عملك، ألست سائق؟!

وضع يدهُ على رأسه، فلقد نسي كذبتهُ منذ قليل، فحقًا كما يقول المثل: "الكذاب نساي"، ولو مشي الكذب لضل، وأسرع يقول وهو يتلعثم في الحديث: أجل.. أجل أنا سائق أنا سائق، لقد.. لقد.. لقد كنت أوصل إحدى السيدات إلى نفس الفندق.

ردت ياسمين ببراءه

- وماذا بعد أن أوصلتها لماذا لا تزال هنا؟

- لأن ورديتي للعمل قد انتهت لهذه الليلة، وقد دعاني أحدهم للجلوس هنا قليلًا وكنت على وشك المغادرة.

بينما يفرك جبهتهُ ويقول في سره لقد كذبت كذبة، وها هي تجرني للمزيد من الأكاذيب، أستغفرك ربي وأتوب إليك. بينما هو يفكر كانت ياسمين تتأمل أناقة ملابسهُ ووجههُ .

صمت الاثنان قليلًا فقال: لماذا تركتِ الحفلة النسائية وجلستِ وحيدة منعزلة هنا، فجميع من حولكِ هن نساء ودودات.

نظرت بحزن وقالت: كونك محاط بكثير من الناس فهذا لا يعني بالضرورة أنك لست وحيدًا، فقد لا تجد الألفة بين كل المحيطين بك وتعثر عليها في العزلة، ثم صمتت مجددًا وعلى وجهها علامات الحزن.

فقال هو: إذا كنتِ تودين العودة يمكنني أن أعود بكِ للقصر، فليس عليكِ الانتظار حتى ينتهي الحفل إذا كنتِ تشعرين بالوحدة في هذا المكان.

فكرت فيما يقول، تشعر أنها تألفهُ على الرغم من أنها لم تألف الرجال من قبل، ولكن ربما عندما أصبحت غريبة بين النساء غرباء بدى هو مألوف لها من لهجته وأصلهِ المصري، والطريقة التي يعاملها بها، وتفكر لماذا هو يهتم هكذا؟

ظن أنها لا تملك المال فقال: لقد انتهى عملي، ولذا إذا أردتِ العودة فأنا سأقوم بإيصالك كشقيق يقوم بتوصيل شقيقتهِ فحسب بعيدًا عن عملي كسائق.

ابتسمت وقالت: شكرًا لك يا.. وصمتت.

فقال هو: لماذا لم تكملي يا؟ أم أنني كسائق لا أليق أن أكون شقيقًا لكِ؟

تعجبت وقالت وهى تبتسم: لا ليس الأمر كذلك، لكن في الحقيقة ليس لي أشقاء رجال، لذا فتبدو هذه الكلمة غربية على أذني ولساني أيضًا، كما أنني سأنتظر سمر.

استطاع في النهاية أن ينفذ للحديث معها عن المهاجرين، فهو يفهم أنها تشعر بالوحدة، وأخذت تتحدث وتسألهُ عن أماكن تواجدهم وما شابه، وتنظر لهُ بعينين بريئتين قتلت أجمل نساء الأرض غيرةً، ونطق لسانها بكلمات ساحرة لو استمعت لها العصافير لما غردت، لما بقي من حياتها، فحتى تغريد الطيور لا يرقى إلى سحر كلماتها الذي ينبع من القلب.

رن هاتفهُ، إنهُ مدير أعمالهِ ولا يمكنهُ الإجابة أمامها وإلا انكشفت كذبتهُ، وقبل أن يعتذر منها ليجيبهُ رن أيضًا هاتفها، فنظرت وقالت وهي تبتسم: إنها سمر، لا بد أنها قلقة عليَّ، حسنًا إلى اللقاء، واتجهت إلى القاعة، وذهب هو في طريقهُ للخروج من الفندق.

كانتا في طريقهما للخروج بعد انتهاء الأمسية وياسمين تقول: ألا نتصل بأحمد ليعود بنا؟

-لا ليس لدينا مال كافٍ لاستخدام سيارة فارهة مرتين في نفس اليوم.

- سأدفع أنا ثمن العودة.

- احتفظي بثمن العودة، فلدينا حفلة أخرى خلال هذا الأسبوع، وسنحتاج لسيارة فارهة لتقلنا، وأنتِ لا تحبي التبذير أليس كذلك؟

- لا أحب التبذير، ولكن كيف سنعود؟

- سنتظاهر أننا نأخذ جولة في حديقة الفندق، ثم سنستمر في السير حتى نبتعد عن هذه المنطقة، ثم سنستقل تاكسي أو حافلة، ستكون أرخص بكثير.

ردت ياسمين: وماذا لو شاهدكِ أحد وأنتِ تسيرين؟

- سأخبرهُ عندها أنني أتجول من أجل شراء بعض الهدايا فأفكاري لا تنتهي.

كان عليها أن تقول أكاذيبي لا تنتهي، هكذا فكر سليم وهو يستمع لهما وهما يخرجان من الفندق ويتأملها في نفسه قائلا إن مثل الدنيا كمثل هذه الفتاة؛ جميلة وجمالها زائف، وكاذبة ونحن نعلم أنها كاذبة، ونظل نستمع لها وهي تكذب علينا، ونعلم أن أكاذيبها ستؤدي بنا في النهاية إلى لا شيء لأننا لن نخرج من الدنيا أحياء.

ظل يراقبهما وهما تسيران، فاستمع إلى ياسمين وهي تقول لها: هل تعلمين؟ لقد كان أحمد هنا في الفندق.

تساءل هو من يكون أحمد؟ فقالت سمر: من أحمد هذا؟

- أحمد السائق المصري الذي أوصلنا.

فردت سمر بسخرية:

- هل من الممكن أن تقولي السائق حتى لا أرهق عقلي في التفكير فيمن يكون أحمد، ثم تغيير لون وجهها قليلا وهى تنظر لها قائلة: أرجوكِ لا تخبريني أنكِ جلستي معهُ، هل نسيتِ مبادئك وهي التحفظ في التعامل مع الرجال!

ردت ياسمين وهو تمد يدها وتمسك بيد سمر.

- كيف استطعتِ التخمين أنني جلست معهُ؟

- وجهكِ البريء لا يمكنهُ إخفاء أي شيء.

- لأنكِ صديقتي فتفهميننى من قبل أن أتحدث، وأنا كذلك أعرف أنكِ غاضبة لأنني جلست مع سائق، لو كان رجل أعمال أو ثري ماذا سيكون رأيكِ؟

لم ترد بل تنهدت فحسب وأخذت تتفحص هاتفها، فأكملت ياسمين: لكن لقد ذكرتني بالخطأ الذي ارتكبتهُ بالفعل، ما كان عليَّ الجلوس معهُ.

وهو يسير خلفهما ويقول: بالفعل ما كان يجب عليَّ أن أتبعهما، فأنا أخسر أخلاقي دون أن أدري وأتجسس عليهما، ومع ذلك سار خلفهما طويلًا يكتشف هاتين الفتاتين المتناقضتين المتقاربتين.

بعد عدة أيام

كانت جالسة في القصر وحيدة تمسك بالقلم وترجوه أن يعود صديقًا لها، وتعتذر عن خطئها بهِ عندما دعتهُ بالقلم الأسود، وهو لديه عزة نفس

غير مسبوقة، فلا يجري بكلماته كما اعتاد معها، ولا يساعدها في استرضاء عقلها ليعود فيكتب، لقد غضب كلاهما منها وتخاصما معها وجفَّ ما بقي من بحر كلماتها حتى اصطدمت بالقاع، وليس في القاع إلا الصخور.

تركت القلم وأخذت تحاول أن تغير تفكيرها قليلًا، طافت في الحديقة مرات ومرات، ثم تحدثت مع أمها وشقيقتيها، ثم عادت تحاول الكتابة فوصلت لنفس النتيجة، لم يعد هناك من شيء تفعلهُ ودارت بعيونها في القصر، ثم أمسكت بالمكنسة وكنست، ثم رتبت كل شيء وغسلت الأطباق، وأخيرًا قررت أن تعد الغداء لها ولصديقتها.

سمعت باب القصر يُفتح، لقد عادت سمر في الوقت المناسب لنتناول الغداء الطازج معًا، وضعت الأطباق على السفرة وهي تبتسم تنتظر خروج سمر من غرفتها لتسعدها بالغداء.

خرجت الثانية من غرفتها واستنشقت رائحة الطعام فاتجهت مباشرة في اتجاه ياسمين، ونظرت إلى الطعام نظرة حادة، وقالت بنبرة صوت تقترب من الصياح: ما هذا يا ياسمين؟!

ردت الثانية بحذرٍ وتعجب:

- الغداء.

- ومن الذي أخبركِ أن تعدى هذا الغداء؟

- لست بحاجة أن يخبرني أحد.

- إذن أنتِ تعلمين ما عليكِ فعلهُ، ومع ذلك تتخاذلين عن القيام بهِ وتضيعين وقتكِ الثمين في أعمال منزلية تافهة وإعداد غداء يمكنني أنا القيام بهِ بكل سهولة.

- سمر أنا أعلم أنكِ تودين مني أن أستمر في الكتابة، ولكن لا أستطيع أن أكتب، إذن ماذا أفعل الآن؟

- هذا لأنكِ قلقة جدًا وتنسين أنكِ قد نجوتي من الخطر ولا داعي للقلق مجددًا، هيَّا حاولي أن تستعيدي موهبتكِ؛ فهي كنزكِ الثمين.

- لا أستطيع أن أكتب كلمة واحدة، وكأن أحدهم قد سرق عقلي بكلماته وخياله الخصب.

قالت وهي تضع يدها على كتفها برفق:

- حاولي مجددًا، لقد بدأتِ في كتابة روايتكِ الأخيرة قبل أن تحدث هذه المشكلة عندما كنتِ في مصر، والآن قد انتهت المشكلة، عليكِ المحاولة مجددًا.

زفرت ياسمين وقالت

- لا أستطيع أن أعتاد المكان من حولي أو حتى الأشخاص، فكيف تستطيع الألفة أن تصل إلى عقلي فيعود لطبيعته! أو حتى يصل الاطمئنان إلى قلبي فيساعد عقلي في خواطره؟!

- حاولي مجددًا يا ياسمين وهيَّا لنتناول ذلك الغداء.

تناولت ياسمين القليل من الطعام، ثم اتجهت إلى اللاب توب وسمر تحمل الأطباق إلى المطبخ، ثم ذهبت سمر إلى غرفتها تقوم ببعض الأعمال الخاصة بها، وبعد مرور بعض الوقت سمعت ياسمين تصيح: سمر، سمر تعالي إلى هنا بسرعة.

فنهضت من على سريرها وهي تهرول بفزع حتى وصلت إلى ياسمين فوجدتها تجلس بسعادة أمام اللاب توب وتتبسم، فصاحت بها:

- ماذا هناك؟ لماذا كنتِ تصرخين؟

أشارت إليها بيديها وهي تقول:

- انظري هنا.

نظرت سمر إلى اللاب توب، ثم شهقت بفرحٍ وهي تقول: لقد تصدرت روايتكِ الأخيرة أكثر الروايات مبيعًا، يا لهذا الحظ العظيم! ألم أخبركِ بذلك، إذن إحدى رواياتكِ وضعت اسمك وسط مشاهير الكُتَّاب والآن هذه ستضعكِ وسط الأثرياء، وليس هذا فحسب، بل ستروج إلى رواياتكِ السابقة المنسية بشكل أكبر.

احتضنت الفتاتان بعضهما طويلًا، ثم قالت سمر: إذن هذا الخبر كافٍ لجعلك تكفين عن القلق وتعودين للكتابة، وأنا كما تعلمين سأستمر في كوني صديقتكِ ومديرة أعمالك.

ردت ياسمين: لا تكوني سخيفة، بل صديقتي وأختي، فلولا ما قد بذلتِ من جهد لما وصلتُ إلى هذا النجاح، ألا ترين أننا نعمل كفريق يكمل بعضنا الآخر؟

- هذا صحيح.

- سوف أزف البشرى لأمي وشقيقتي سارة وهاجر.

ردت سمر وهى تغادر الغرفة

- وأنا سأعد عشاءً مميزًا من أجل الاحتفال.

ظلت ياسمين تتحدث مع عائلتها لوقت طويل حتى قالت والدتها: إذا لم تنهِ المحادثة الآن فلن تذهب واحدة منهما للمذاكرة.

ضحكت ياسمين وقالت

- كما ترغبين يا أمي سأنهى المحادثة مع السلامة.

أغلقت اللاب توب وخرجت من غرفتها لتجد سمر تضع على السفرة طبقين من الدجاج مزينين بشكل رائع وملفت، وجاءت سمر وهي تحمل طبقين آخرين وتقول: تفضلي سوف نتناول عشاءنا كأثرى فتاتين في تركيا انظري، وكانت تشير إلى الأطباق.

وياسمين منبهرة وهي تقول:

- حقًا يا سمر! أين تعلمتِ الطهو بهذه الطريقة الرائعة؟

ردت سمر وهى تضع أدوات السفرة

- تعلمتهُ من أخي، إنهُ أفضل طاهٍ في اسطنبول جاء إلى هنا منذ ثمانية أعوام، وكان يعمل في أحد المطاعم، ونظرًا لمهارته فقد صنع خلطة سحرية تجعل طعم الدجاج، والطيور، واللحوم مذاقها رائع بشكل لا

يصدق، وقد نصحته بألا يُعْلِم أحدًا بها؛ لأنها بصمتهُ الخاصة، وقد استمع لي، ولذا فقد ذاع صيتهُ في فترة قصيرة وحصل على عمل في فندق فاخر براتب خيالي، وهو من ساعدني للسفر إلى هنا وفي العثور على عمل.

- لماذا لا تعيشون معًا؟!

- كنا نعيش معًا قبل أن ينتقل للعمل في الفندق، وبالتالي انتقل للعيش هناك بالقرب من عمله، وتزوج من أحد الفتيات العراقيات المهاجرة إلى تركيا منذ زمن، وأنا لا يمكنني المغادرة بسبب عملي، والآن لا مشكلة، فنحن نعيش سويًا أنا وأنتِ.

ثم بدأتا في تناول الدجاج، ما إن تناولت ياسمين قطعة صغيرة حتى قالت: لقد كنتِ محقة، هذا الدجاج طعمهُ مذهل.

وأخذت تكمل تناول طعامها وهي تفكر في سمر كيف أنها موهوبة في تعلم الأشياء بمهارة، لغات، تسويق، وحتى الطهو، ومع كل ذلك تظن أنها لا تمتلك موهبة!

فقالت: سمر لماذا لا تفكرين أنتِ وشقيقكِ في فتح مطعم تقدمان بهِ هذه الأطعمة المميزة؟

- سيحتاج للكثير من المال.

- افعلي مثلي وادخري المال واستثمريه، ثم افتتحا المطعم.

- وماذا بعد افتتاح المطعم؟

- تدخرون المزيد من المال، وتفتتحون مطعمًا آخر وثالث ورابع، وهكذا حتى تمتلكون سلسلة من المطاعم وتصبحان أثرياء، أليس هذا ما تحلمين بهِ؟

ردت سمر وقد تقوص حاجبيها

- قد يستغرق الأمر عشرين عامًا لكي يتحقق.

- ولكن لو كتب الله لكما الحياة ستمر العشرون عامًا وتجدون أنفسكم أثرياء، وهذا أفضل من أن تمر وتجدون أنفسكما لا تزالا موظفين تتقضيان راتبًا شهريًّا محدودًا وتضطران للاستمرار بالعمل الشاق لكي يستمر المال، فأنا مر على عملي كروائية تسع سنوات والآن أنا في وضع جيد بفضل الله.

- سيكون شبابي قد رحل وشاب شعري ولن أتمتع بالمال.

- ولماذا تعلقين المتعة حتى تصلين إلى الثراء؟ عيشي الأمر بشكل تدريجي كلما تحسنت أوضاعكِ المالية عيشي حياتك بشكل أفضل.

- أيتها الروائية هيَّا بدلًا من إعطاء النصائح تذكري أن هناك رواية يجب إنهاءها.

ردت وهى تضم شفتيها

- أرجوكِ لا تكوني كأمي عندما كنت في الجامعة، كانت لا تترك دقيقة إلا وتقول لي: ياسمين هيَّا ذاكري، وإذا رأتني أقترب من التلفاز تقول عليكِ المذاكرة وليس مشاهدة التلفاز، وإذا رأتني أتجه إلى أي شيء

تكرر نفس الكلمات، والأكثر من ذلك عندما أصبحت رواياتي تحقق لنا دخلًا أصبحت أمي تعيد نفس الأمر بالنسبة للكتابة.

فردت سمر: أنا أتحدث معكِ من أجل مصلحتكِ.

فردت ياسمين وهي تضحك قائلة: هي أيضًا كانت تقول لي هذا، لقد تركت أمي في مصر وكنت غاضبة، والآن أجد نسخة منها هنا، ولكن هل تعلمين؟ لقد ألحت عليَّ في المذاكرة حتى تفوقت في دراستي أثناء الجامعة وأتقنت اللغة العربية التي أفادتني كثيرًا عندما اتخذت الكتابة كعملٍ لي.

****

كان هو في قصره وجاء إليه أُوغلو لقضاء المساء معًا، وبعد برهة من الوقت قال أُوغلو: إذن كيف سار الأمر مع تلك الكاذبة التي ذهبت لها منذ عدة أيام؟

اتكأ على الكرسي وأخذ يضحك وهو يقول: لقد كانت كذبة كبيرة، وتحولت معي إلى مزحة أكبر، وظنت أنني سائق، وأنا أتسلى بها حتى أرى نهاية كذبتها.

فرد أُوغلو باندهاش: سائق! ظنت أنك سائق؟ يا للسخافة!

- الغريب في الأمر أنني وجدت فتاة أخرى معها غاية في البراءة اسمها على اسم حبيبتي ياسمين، هل يمكن أن تعرف لي من هي؟

- أعطني اسمها وأنا أجمع لك معلومات عنها.

- اسمها ياسمين.

نظر لهُ صديقهُ وكتم ضحكتهُ وقال: ياسمين! هذا مفيد للغاية؟ ثم ضحك وأكمل: أهذا كل ما تعرفهُ عنها؟

- أجل كل ما أعرفهُ عنها اسمها ورقم هاتفها؛ لأنها أيضًا تظن أني سائق وهذا يعجبني.

- وكيف أجمع عنها معلومات إذن؟ ولماذا تهتم لأمرها؟

- أشعر أن خلفها قصة، كما أنها جاءت إلى تركيا حديثًا، فقد تكون مهاجرة وتحتاج إلى عمل، أنا أود مساعدتها حتى لا تنزلق مع صديقتها الكاذبة، فهي على النقيض منها تمامًا.

أمسك بهاتفه ونظر إليه وكأنه يتمنى أن تتصل بهِ، ثم استوعب ما يفكر بهِ، فقال يغير من تفكيرهِ:

- أخبرني يا صديقي ألم تتوصل إلى أي طريقة للوصول إلى حبيبتي، فلقد مللت الانتظار.

ردَّ أوغلو وهو يلوح بيديه كتعبير عن الجهل:

- إنها غامضة تمامًا، ولا يستطيع أحد أن يصل إليها أو يعرف اسمها الحقيقي أو عنوان سكنها أو أي شيء، لا شيء سوى ما تعلنهُ على حساباتها على مواقع التواصل.

ردَّ وهو يمسك بهاتفه مرة أخرى وينظر إليه: إذن سيطول الانتظار وسيزيد شوقي لها أكثر، ولكن سأعثر عليها يومًا ما، وسيكون يوم حظي.

- بالمناسبة لقد أوشك الفندق الذي سنفتتحهُ في الأقصر على الانتهاء، وسنذهب لافتتاحه في غضون أسبوعين.

- وأنا مستعد للسفر إلى مصر، فلي بها محبوبة أتمنى لقاءها.

****

قامت هي بعاداتها اليومية وسمر في عملها، ثم اتجهت إلى اللاب توب الخاص بها لتتحدث مع عائلتها، سارة بالتأكيد عادت من الجامعة، وهاجر قد عادت من المدرسة، إذن فالعائلة كلها مجتمعة، وظل الأربعة يتحدثون طويلًا، ثم قالت والدتها: لقد كدت أن أنسى أن أخبركِ أن أحد الصحفيين قد جاء في الصباح وكان يلح لإجراء لقاء معكِ.

ردت ياسمين: هذا غريب، وكيف علم الصحفي مكان سكني؟ فلا أحد يعلم حتى اسمي الحقيقي أو أين أسكن! نظرت كل واحدة منهن للأخرى في تساؤل.

ثم قالت والدتها: والآن هل ستجرين معهُ لقاءً أم لا؟ لقد كان لحوحًا للغاية، وأخذ يقول كلمات لم أفهمها عن أن الجمهور يبحث عنكِ في محركات البحث، ومعلوماتك مجهولة للناس، وأشياء أخرى لم أفهمها.

- دعيني أفكر يا أمي، وسأجيبكِ فيما بعد.

فقالت سارة: هذا هو رقم هاتفهُ، والإيميل الخاص بهِ، لقد وجدت الورقة مع أمي ولم تفهم منها أي شيء.

- حسنًا سأقول لكما سلام الآن، وسأرد فيما بعد، مع السلامة.

أغلقت اللاب توب، وفتحت سمر الباب وهي تقول بسعادة: مرحبًا، لقد عدت.

ردت الأخرى وهي تبتسم: لقد عدتِّ في الوقت المناسب.

ردت سمر وهي تضع حقيبتها على الطاولة وتميل لتخلع حذاءها.

- إذن هناك شيء ما وتحتاجين للمساعدة، أو رأيي في أمر ما

- نعم لقد جاء صحفي إلى منزلنا، ويلح في إجراء لقاء معي، وأنا قلقة كون أنهُ علم مكان سكني واسمي الحقيقي.

وهنا اتجهت لها سمر بسرعة وهي تقول: لقد تأخر الصحفيون كثيرًا في الوصول إليكِ، لقد كدت أن أوشي بكِ لهم لولا إخلاصي لكِ.

نظرت لها ياسمين ولم ترد، فأكملت سمر وهي تجلس أمامها: يا صديقتي قليلًا من الغموض سيضيف عليكِ بعض التميز، ولكن الإكثار منهُ سيجعلكِ مجهولة، والناس لا يحبون المجهول، وأنتِ تعملين كروائية منذ سبع سنوات، ولم تُجري ولو لقاءًا واحدًا فقط، لذا أصبحتِ شبه مجهولة وهذا خطأ كبير.

- لكني لا أحب الأضواء ولا الظهور، ولا أحب أن يظهر وجهي للناس وتتداول صورتي، كما أن ما يهمني حقًا أن يصل للناس هي أفكاري وكلماتي وليس أنا كفتاة، وهذه الأفكار تصل إليهم بالفعل من خلال رواياتي، فلماذا الظهور إذن؟

كانت سمر تستمع لهذه الكلمات وهي واضعة يدها على خدها في ملل، وتدور بعيونها وتنفخ بشفتيها حتى تطير خصل شعرها المنسدل على وجهها، وعندما انتهت ياسمين قالت سمر:

- صديقتي، هذه فرصة لكِ من ذهب لكي تخبري الآخرين بما ترغبين في أن يعلموه عنكِ، وتحتفظي بما تودين الاحتفاظ بهِ، هذا لأنكِ لم تجري أي لقاءات من قبل، إذن فهذا اللقاء سيكون المصدر الوحيد للمعلومات عنكِ، وسيظهر في محركات البحث بدلا من الاشاعات التي أطلقت حولك منذ الرواية الأخيرة.

بدت ياسمين مقتنعة، ولكن لا تزال خائفة فقالت:

- إذن هذا رأيك أنهُ سيكون مفيدًا لي؟

وقفت الأخرى وهي تشير بيديها بملل وتقول:

- لا تجعليني أعيد ما ذكرتهُ للتو؛ لأنهُ مفيد لعملك ويقربك أكثر للقراء، وإذا كان ما يقلقكِ هو عدم حبك للظهور فأنا أستطيع أن أحل هذه المعضلة.

- حقًا! سأظل أحتفظ بخصوصيتي؟

- أجل بكل تأكيد، والآن أعطيني رقم الصحفي أو بيانات الاتصال بهِ، ولا تحاولي التدخل حتى لا تفسدي الأمر.

- حسنًا تواصلي مع سارة واحصلي منها على معلومات الاتصال.

قالت كلماتها الأخيرة ويبدو عليها التوتر وهي تسير في اتجاه غرفتها.

حصلت سمر على معلومات الاتصال بالصحفي، واتصلت بهِ، فما إن أجاب مرحبًا حتى قالت: السلام عليكم، أنا مديرة أعمال الروائية ياسمين المصري.

رد هو بحرارة تظهر في نبرة صوته.

- مرحبًا آنستي، هل وافقت على إجراء اللقاء معي؟

- أنا أحدثك بهذا الشأن، إذا وافقت على شروطي فسيتم اللقاء، وإذا لم توافق فليس هناك أي أمل الآن أو في المستقبل.

- وما هي الشروط؟

- لن تنشر لها أي صور، وبالطبع لن يعرض اللقاء على التلفاز أو مواقع التواصل أو ما شابه، أنت فقط من ستحاورها وتسألها ما شئت.

رد بنبرة صوت لا تدل على الرضى، وقال:

- آنستي، إنها لم تظهر من قبل ولم يتوصل لها، أحد فكيف سيصدق الناس أنني بالفعل أجريت معها حوارًا؟ فهي مجهولة تمامًا، قد يظنون أنني اختلقت هذا الحوار وأني أكذب.

- لا تخف أيها الصحفي، سأعلن عن هذا اللقاء على حساباتها على مواقع التواصل الاجتماعي، وعدد متابعيها بالملايين، وسأعلن عن اسمك، بل وصورتك، والمؤسسة التي تعمل معها، وبعدها سوف أُشارك الحوار الذي أجريتهُ على حسابها، وهكذا يتأكد الجمهور من صدقك.

صمت قليلًا، بالطبع يفكر وسمر على قدر من الذكاء ألا تسمح لهُ بفرصة للتفكير، فقطعت صمتهُ وتفكيرهُ قائلة:

- أنت تعلم أيها الصحفي أن هذه فرصة ذهبية لك وللعمل التابع لهُ؛ لأن هذا سيكون الحوار الوحيد لها، وبالتالي فهو المصدر الوحيد لأي شخص يرغب في معرفة المزيد عنها، إن الأمر أشبه بعقد احتكار لكم أنتم فقط، وإذا لم توافق على شرطي فلا أود أن أذكرك بأنهُ لن يكون هناك أي لقاءات معك الآن أو في المستقبل.

رد بلهفه: أنا موافق، وأتمنى أن يكون اللقاء قريبًا.

كانت هي بالكاد تملك نفسها من الفرح وقالت:

- لنناقش أجر هذا اللقاء أولًا قبل الاتفاق عليه، فجدولها مزدحم جدًا.

كانت ياسمين لا تزال في توترها لأنها تعلم جيدًا أن صديقتها ستقبل اللقاء وستلح عليها أكثر لتقوم بهِ، وتفكر ماذا لو كشفها هذا الحوار لمن هم على عداوة معها بعد روايتها الأخيرة؟

قطع حبل أفكارها وتوترها صوت باب الغرفة وهو يفتح وصديقتها تصيح وهي ترفع يديها للأعلى، ثم تصفق وتقول:

- لقد توصلت إلى اتفاق يرضي جميع الأطراف وأنتِ أولهم.

نهضت وقالت:

- حقًا يا سمر! كيف هذا؟

وأخذت الأخرى تسرد عليها ما قامت بهِ حتى انتهت، فقالت ياسمين:

- يا لكِ من ذكية وتدعين أنكِ بدون موهبة، إن موهبتكِ هي أنكِ تستطيعين أن تقومي بأشياء متعددة، ومتنوعة، ومختلفة، تتعلمين لغات وتدرسينها، وتطهين طعامًا رائعًا، بل وتسوقين وتتوصلين إلى اتفاقات رائعة جدًا.

ردت الأخرى وهي تنظر لها بثقة تامة، وقالت:

- لم أخبركِ حتى الآن كم ثمن هذا اللقاء؟

- حقًا لقد نسيت، كم ثمنهُ؟

أمسكت سمر بورقة وقلم وقالت:

- لنرى هل تعلمتي الأرقام بالتركية أم لا، فليس هناك من وسيلة تحفيز أكثر من هذه، إذا قرأتِ الرقم بطريقة صحيحة فهو لكِ، وإذا أخطأتِ فإن الرقم الذي ستخطئين بهِ سيكون لي، ثم أعطتها الورقة وهي تضحك.

أمسكت ياسمين بالورقة ونظرت لها ولمعت عيونها وقالت: يا أله، حقًا هل كل هذا المبلغ من أجل لقائي!

ردت سمر وهي تضع يدها على كتف ياسمين وتقول:

- حتى وإن قرأتِ الرقم بطريقة صحيحة فلن أتركِكِ حتى نحتفل، سوف نذهب لحفلة إحدى صديقاتي في نهاية الأسبوع في نفس يوم اللقاء، لذا سأشترى لكِ فستانًا رائعًا ترتدينهُ أثناء لقائكِ بالصحفي، ثم نذهب به سويًا إلى هذه الحفلة.

- لم الحاجة إلى فستان أثناء لقاء الصحفي؟ ألم نشترط عليه ألا ينشر صورًا؟

- أجل هو لن ينشر صورًا، ولكن تعرفين هؤلاء الصحفيين، لسانهم نشرة أخبار على الهواء مباشرة، كل من سيسألهُ عنكِ سوف يصف كيف كنتِ في اللقاء، فهل ترغبين بأن ينقل عنكِ أنكِ لا تجيدين اختيار ملابسكِ؟ كما أنني سأختار لكِ فستان محجبات غاية في الأناقة، والآن دعينا نتحدث عن الأسئلة التي سيسألها لكِ، وإجاباتكِ عليها، ونخمن كل شيء، ونجرى بروفة على الأمر.

لثلاثة ليالٍ تجهز سمر لهذا اللقاء، حتى جاء ذلك اليوم، حيث ستجري اللقاء في بداية هذا المساء عبر الإنترنت.

قضت سمر وقتًا تختار المكان الذي ستجلس بهِ ياسمين، ثم وقع اختيارها على أحد الأماكن في حديقة القصر، وعندما تساءلت ياسمين:

- لماذا هذا المكان تحديدًا؟

ردت سمر وهي تعد اللاب توب للتواصل مع الصحفي قائلة:

- لأن القصر يبدو أضخم وأجمل من هذه الزاوية من خلفك، وسيستطيع الصحفي رؤيتهُ في أثناء اللقاء.

وقبل أن تتحدث ياسمين عن استيائها لما تفعلهُ صديقتها قاطعتها سمر قائلة:

- لا تتحدثي، ثم نظرت إلى اللاب توب، وقالت:

- مرحبًا أيُّها الصحفي.

بدأ اللقاء مع الصحفي، فقال:

- في البداية أشكركِ على هذا اللقاء.

ردت بابتسامة التواضع والخجل.

-لا عليكِ، هذا ليس بالأمر الهام.

- سيدتي اسمكِ ياسمين المصري، هل هذا اسمكِ الحقيقي أم اسم الشهرة؟

- هو اسم الشهرة، واسمي الحقيقي أحب الاحتفاظ بهِ لأحافظ على حياتي الشخصية هادئة.

- هل أنتِ متزوجة أم؟

- لا أنا آنسة.

- هل تقيمين في مصر أم خارجها؟

- مصر هي مكان إقامتي بالطبع، وفي بعض الأحيان أضطر للسفر من أجل بعض الأعمال.

- ما هي أقرب رواية إلى قلبكِ؟

- كل رواية كتبتها كانت لها مكانة في قلبي، أو تعبر عن أفكاري، وبطريقة ما خرجت هذه الأفكار والمشاعر مع مزيج ما بين الواقع والخيال حتى نبع من كل ذلك رواية جميلة.

- روايتكِ الأخيرة "نسيج الشيطان" هل كنتِ تقصدين بها أحد الأنظمة الحاكمة في عالمنا؟

اضطربت قليلًا في جلستها وبدى التوتر على وجهها، ولكنها دافعتهُ حتى لا يسيطر عليها، وقالت بنبرة صوت قوية وهي تنظر مباشرة إلى عيون الصحفي:

- لقد كتبت في روايتي عن الظلم في كل زمان ومكان، فالظلم والتجبر هو يعاد في كل عصر من العصور بنفس الطريقة من الجبروت، فقط يتغير الأشخاص، والحكام، والأنظمة، والمكان، والدول، ولكن الظلم والجبروت لا يتغير، ولذا فلو أن روايتي كتبت في أي عصر سابق أو قادم كان الناس سيجدون تشابهًا بينها وبين أي نظام حكم ظالم، وهذا ليس خطئي.

ابتسم الصحفي من إجابتها الذكية التي لم توقِع بها، وقال:

- هناك بعض الإشاعات التي تأكد أنكِ تعرضتِ للملاحقة بسبب روايتكِ الأخيرة.

- إذا كنت تقول إنها إشاعات، أي لم يثبت صحتها من كذبها، فلماذا تسأل عنها؟ لن أضيع وقتي في مناقشة الأقاويل.

- لماذا تحبين الاختفاء بعيدًا وعدم الظهور مطلقًا؟

- إذا كانت أفكاري وأعمالي تصل للناس بدون الحاجة إلى ظهوري فلماذا عليَّ الظهور إذن؟ كل ما أحب وصولهُ هو أفكاري ورسائل الإيجابية، وليس كيف يبدو شكل وجهي؛ لأن بصمتنا هي من ستبقى في هذا العالم.

- إذن لن تظهري مطلقًا في المستقبل؟

- إذا كان لظهوري فائدة فقد أظهر في المستقبل.

- متى سيكون هذا الظهور؟

- إنك تسأل سؤالًا وحدهُ المستقبل هو من يستطيع إجابتهُ وليس الحاضر.

- إنكِ تكتبين عددًا كبيرًا من الروايات على فترات متقاربة تفوق كل الروائيين الآخرين، لذا يتهمكِ البعض بسرقة روايات كتاب مبتدئين ونسبها لكِ، فما ردك على هذا الاتهام؟

- إنني متأكدة أن صاحب هذا الاتهام إما حاقد أو شخص لم يقرأ رواياتي؛ لأنهُ لو قرأ رواياتي لأكتشف أن رغم اختلاف قصصها إلا أن هناك خيطًا رفيعًا أو خفيًّا يربط بينها، وهذا أكبر دليل على أنها من وحي خيالي الخالص.

- ما هي مواصفات فارس أحلامكِ؟

احمر وجهها عند سماع السؤال، ونظرت للحديقة من حولها، ثم قالت:

- طوال سنوات كنت مشغولة في عملي، ولم أفكر حقًا في هذا الأمر، لذا فأقول بأمانة شديدة إنني لا أعلم ما الذي أتمنى وجوده في زوجي المستقبلي، ولكن مما لا حاجة للتفكير بهِ أن يكون حسن الخلق.

حياها الصحفي وهو يقول:

- لقد كان الحوار ممتعًا جدًا معكِ آنستي، وأتمنى أن تكون هناك المزيد من اللقاءات في المستقبل.

ردت عليه التحية بابتسامة، وأغلقت سمر اللاب توب وهي تصيح وتحتضنها قائلة:

- لقد كنتِ رائعة، لم أتوقع أن تكون كلماتك بنفس مستوى كتابتكِ؛ لأنكِ خجولة.

بينما ياسمين تأخذ نفسًا عميقًا وهي تقول:

- لا أصدق أن اللقاء قد مرَّ بهذه البساطة.

أمسكت سمر بالهاتف وهي تقول:

- الآن سأتصل بالسائق ليقلنا إلى حفلة الحنة الخاصة بصديقتي كما اتفقنا، ونحن جاهزتان.

رن هاتفهُ وكان جالسًا مع والدهُ في قصره، فأمسك بالهاتف بينما والده ينظر لهُ فقال:

- إنهُ رقم غريب، أخشى أن يكون أحد الصحفيين قد توصل إلى رقمي مجددًا، ولم يُجب على الهاتف، بل عاد يقرأ، رن مرة أخرى، فأمسك بالتلفون في ضجر وأجاب:

- مرحبًا.

فسمع صوت فتاة تقول بصوت متعجرف: ألست أنت السائق؟

رد بغرابة:

- سائق! أي سائق؟ أخشى أن الرقم خاطئ يا سيدتي.

رفعت نبرة صوتها وهي تقول بنفس العجرفة:

- السائق أحمد.

- سيدتي، لقد أخبرتكِ أن الرقم خاطئ، أنا لست سائقًا، واسمي ليس أحمد، أنا آسف.

ثم أغلق الهاتف ووضعهُ على المنضدة بجانبه وعاد يقرأ، فقرأ صوتها في ذاكرته يذكرهُ بكذبته مع الفتاة الكاذبة التي تكذب عليه، فقال وهو يصفع جبهتهُ قليلًا: أوه، فنظر لهُ والدهُ وقال:

- هل هناك شيء ما؟

رد بتوتر

- لا، لا يا أبي، ليس هناك أي شيء مهم على الإطلاق، فقط إنهُ رقم خاطئ.

وأمسك بالرواية في يمينه وهاتفهُ في يساره واتجه إلى غرفته في الطابق العلوي.

نظرت سمر للهاتف وهي تقول بغضب: ياسمين إن رقم الهاتف الذي أعطاه لكِ السائق خطأ.

أمسكت ياسمين بهاتفها وقالت:

- غير معقول! لقد تأكدت من الرقم عندما كنت أحفظهُ، دعيني أحاول مجددًا.

ردت سمر وهي تتجه لغرفتها قائلة:

- وأنا سأضبط مكياجي للخروج.

طلبت رقمهُ مجددًا من هاتفها، كان قد وصل إلى غرفتهُ، فرن الهاتف، وكان يتوقع ذلك فنظر وقال إنها ياسمين، قالها وهو يضحك فأجاب:

- مرحبًا.

ردت بصوت هادئ

- مرحبًا، أليس هذا رقم أحمد؟

- أجل يا شقيقتي، أنا أحمد هل ترغبين في أن أوصلكِ لمكان ما.

- أجل، نحن في انتظارك لا تتأخر.

نظر إلى سياراته الفارهة المصطفة في جراج القصر واختار أجملها، وانطلق بها بسرعة.

وصل إلى باب القصر ونظر، ليس هناك أحد، اتصل على الهاتف، خرجت ياسمين أولًا، وكانت ترتدي فستانًا جميلًا والظل يخفي وجهها بينما الضوء من الداخل مشرق على فستانها فظن أنها سمر، فأدار وجههُ إلى الجانب الآخر حتى وصلت إلى السيارة، فنظرت لهُ بغرابة وهو لا يزال ينظر للاتجاه الآخر ويفكر

- لماذا لم تركب تلك الكاذبة، أم إنها تريدني أن أفتح لها باب السيارة؟

فقالت: هل أنت أحمد؟

رد بسؤال في عقله: لماذا تغير صوتها؟

فالتفت لها.. وقال بدهشة:

- ياسمين! أوه لقد ظننتكِ سمر.

قالها باسمًا

- لماذا لم تركبي السيارة؟

قالت وهي تنظر للسيارة:

- لأن السيارة مختلفة عن التي كنت تقودها في المرة السابقة فاختلط عليَّ الأمر.

نزل من السيارة ونظر لها بنفس الدهشة وهو يقول في سره: أوه، لقد نسيت وقدت سيارة مختلفة، سأكون دقيقًا في المرة القادمة، ثم نظر لها وهي تنتظر الإجابة على تساؤلها.

حك بيده في جبهته، ثم قال:

- لقد غيَّرت الشركة التي أعمل معها السيارة التي كنت أقودها واستبدلتها بهذه، لا تسأليني لماذا، إنها سياسة الشركة.

سمع كلاهما صوتًا يقول: واو! إنها أجمل من السيارة السابقة، هيَّا لنركب حتى لا نتأخر على حنة صديقتي هيَّا.

إنها سمر وصلت وهما لا يشعران، وكانت تنظر للسيارة بإعجاب، ثم ركب الثلاثة وانطلقوا.

وما إن بدأ في قيادة السيارة حتى قال:

- لقد انشغلنا بالسيارة ونسيت أن أسألكِ أولًا كيف حالك يا آنسة ياسمين؟

ردت سمر:

- لماذا تسأل عن حالها؟ هل هي قريبتك؟

فنظر لها باستنكار وقال:

- لا.

- إذن لماذا تسأل عنها؟

شعر ببعض الإهانة وقال:

- أسأل عنها كشقيقتي، فأنا أعتبر جميع الفتيات شقيقاتي إلا واحدة.

أثارها الفضول، ولكنها قالت بسخرية: ومن هي هذه الواحدة؟

رد بسعادة:

- التي سأتزوجها.

ضحكت كلتاهما، وقالت ياسمين:

- أسأل الله أن يزوجك قريبًا يا أخي.

وسمر تنظر لها وتهددها بالتوقف عن مجاراته في الحديث بلطف.

قطعا نصف الطريق، ثم ظهر من بعيد عدد من سيارات الشرطة، وعندما وصل إليها وجد الطريق مغلقًا، فسأل أحد رجال الشرطة الذي كان يمر بجانبه:

- ماذا هناك؟

فرد الشرطي:

- لقد انقلبت إحدى سيارات نقل البضائع منذ قليل، وبفضل الله ليس هناك خسائر في الأرواح، ولكن سيستغرق الأمر بعض الوقت لإزالتها من الطريق.

لم تفهم ياسمين أي كلمة، ولكن سمر صرخت بضجر:

- سوف نتأخر على حنة صديقتي بسبب هذا الحادث، ونظرت إلى ياسمين وقالت بغضب:

- وأنتِ مجنونة لا تحبين التأخر بالخارج في المساء، ماذا أفعل الآن؟

أما هو فكان أكثر ضجرًا، يفكر كم ستكلفهُ كذبتهُ وفضولهُ بسبب هذه الكاذبة وهو عالق الآن معها في السيارة.

ولكن سمر كانت تزداد غضبًا كل دقيقة وتصيح:

- سوف يفسد مكياجي وستفوتني الحنة.

وجد هو في غضبها تخفيفًا من ضجرهُ في هذا الملل، يبدو أن الانتظار سيطول وهو لم يعتد الانتظار، حتى في المطار يركب طائرتهُ الخاصة ولا يضطر إلى الانتظار، فكر قليلًا: سوف أتناول هاتفي وأتظاهر أن عليَّ الذهاب من أجل أن أنقل شخصًا آخر وأعود بهما إلى قصرهما.

فمد يدهُ يلتقط هاتفهُ فاصطدمت يده بشيء ما، ما هذا؟ لم أكن أذكر أنني أحضرتها معي، فأمسك بالرواية وراح يقرأ، فلقد وجد وسيلة أخرى تسليه وتجعلهُ يستمتع بوقته وبغضب سمر.

وهي تزداد غضبًا دقيقة بدقيقة وتقول: ضاعت الحنة، لقد ضاعت، ثم نظرت لهُ فوجدتهُ هادئًا جدًا ويقرأ، فقالت في تهكم:

- أنت تقرأ الآن؟

رد من دون أن يرمقها حتى بنظرة واحدة، وقال:

- هل لديكِ اقتراح آخر؟

فأرادت أن تسلي بهِ وقتها، فليس هناك شيء تفعلهُ، والجميع عالق في السيارة، فقالت بتكبر:

- ماذا تقرأ؟

ردَّ بملل:

- أقرأ رواية نسيج الشيطان لياسمين المصري.

نظرت كلاهما للأخرى وتبسمتا في رضى، فقالت سمر:

- أعرف هذه الرواية وكاتبتها، صاحبتها مجنونة!

فنظرت لها ياسمين وعيونها تهدد: انتظري حتى نعود، والأخرى تضحك من نظراتها.

أما هو فقال بشدة:

- لماذا تقولين عنها هذا الكلام السخيف؟

انتبهت للهجته الغريبة وقالت بسخرية:

- ولماذا غضبت من أجلها هكذا؟ آه، لقد نسيت، بالتأكيد تعتبرها شقيقتك!

- لا أنا لا أعتبرها شقيقتي، ولكن لماذا تصفينها بالجنون؟

فردت وهي تنظر في عيون ياسمين مباشرة.

- هي لا تخرج للأضواء والشهرة، ولا تقابل الجمهور، ولا يعرفها حتى معجبيها، أليس هذا جنون؟

كانت تنظر لياسمين وهي تقول كلماتها، وقد راقت لها التسلية بهما.

فقال هو: إنها فتاة خجولة، وتحب أن تعيش حياتها بشكل هادئ، وليس من الضروري أن تخرج للأضواء؛ لأنها تفسد الحياة الهادئة.

فأكملت سمر بسخرية:

- إذن هناك اثنين في هذا العالم على نفس القدر من الجنون؛ ياسمين المصري، وأنت.

نظر لها وقال:

- بل هناك ثلاثة أشخاص مجانين.

فنظرت لهُ بتعجب وقالت:

- ومن يكون المجنون الثالث؟

ضحك وقال:

- كيف لا تعرفينهُ؟! إنهُ صديقكِ سليم سليمان، أليس هذا ما يفعلهُ؟ يختفى عن الأضواء؟

انفجرت ياسمين بالضحك وهي تنظر لها وقالت:

- لقد أوقع بكِ، هيَّا أجيبيه.

فنظرت لنافذة السيارة تفكر بإجابة و صاحت بفرح:

- الطريق قد فُتح، هيَّا قد السيارة.

وبدأ هو يقود السيارة وهي تفكر كيف تدافع عمن تدعي أنهُ صديقها؟

لم تجد أي إجابة والطريق لا يزال طويلًا، فقررت العودة للتسلية بياسمين وبهِ فقالت:

- يعجبك غموضها أيها السائق أليس كذلك؟

فرد بنبرة صوت راضية:

- لا ليس غموضها، بل أفكارها جميلة جدًا، تعبر عن إنسانة رقيقة المشاعر، أشعر بذلك وأنا أقرأ رواياتها.

قالت وهي تلهو بخصلة من شهرها: هل تعلم أيها السائق.. فجذبتها ياسمين وهي قالت:

- اسمهُ أحمد.

فأكملت سمر:

- هل تعلم أيها السائق الذي اسمهُ أحمد! هي صديقة لي، وأعرف اسمها الحقيقي، وأين تسكن.

فنظرت لها ياسمين تحاول أن توقفها، فتوقفت السيارة فجأة واصطدمت كلتاهما في ظهر الكرسي الأمامي، وصاحت سمر وهي تعيد شعرها الذي انكب على وجهها:

- ماذا حدث؟

فتدارك هو أنها شتتهُ قليلًا عن القيادة بقولها، ولكن خجل من أن يخبرهما بذلك فقال:

- لقد كانت إحدى القطط تمر فجأة أمام السيارة.

نظرت ياسمين من نافذة السيارة تبحث عن القطة! وأكمل القيادة وهو يفكر:

- كيف أصدق تلك الكاذبة فيما تقول؟ فهناك مثل فرنسي يقول "الكاذب لا يصدق حتى في قول الحقيقة".

ونظر للخلف وقال بتلقائية تامة:

- حقًا أم أنكِ تكذبين؟

ردت بغضب:

- أكذب! أنا أكذب! إنت لا تستحق ما كنت سأخبرك بهِ عنها.

وظهر الرضى على وجه ياسمين واتكأت على مقعد السيارة تستريح، ولم يتحدث أي منهما باقي الطريق، ولكنهُ ظل يفكر فيما سمعهُ منها، وعندما وصلا نزلت سمر أولًا وهي مسرعة من السيارة، بينما كانت ياسمين تخرج الأجرة من حقيبتها وتمدها له، وتقول: تفضل.

ردَّ هو:

- وهل يأخذ الشقيق من شقيقته مالًا!

فابتسمت وقالت:

- وهل تستغل الشقيقة شقيقها؟

كانت على وشك الخروج من السيارة، ولكنهُ أوقفها قائلًا:

- هل يمكنني أن أسأل سؤالًا واحدًا فقط؟

- بالطبع تفضل.

- هل حقًا سمر تعرف ياسمين المصري؟

تعجبت هي من سؤاله، فهذا معناه أنهُ يشك أن سمر تكذب وهى غريبة عنه..

نسيت أنها لم تجبهُ وهو ينظر لها ينتظر الرد، فسمع كلاهما صوت سمر تقول:

- هيَّا أيتها الكسولة، وهي تقف على باب أحد الفيلات القريبة وتشير بيدها، فأجابتهُ بسرعة دون أن تدري وهي تنزل من السيارة:

- أجل تعرفها، ولكن أرجوك لا تسألني عنها مجددًا.

وما إن خطوت خطوات قليلة حتى شعرت بخطأ ما قامت بهِ، ما هذا الغباء! ما كان يجب أن أخبرهُ بهذا حتى لا يسألها مجددًا.

اتجه هو إلى فندق لصيق بالفيلا؛ لأنهُ متأكد من إنهما لن يظلا طويلًا وستود ياسمين العودة للقصر، اندمجت سمر في حفلة الحنة مع الفتيات،

بينما ياسمين كانت تكتفي بالمشاهدة، فهذا أقصى ما يمكنها فعلهُ، كانت سمر تثرثر عندما سألتها إحدى الفتيات قائلة:

- ألستِ أنتِ من يلاحقها سليم سليمان؟!

ردت بسرورٍ:

- أجل أنا.

بينما تنظر لها الفتاة الأخرى بانبهار وتقول:

- أخبريني إذن كيف تقابلتما؟ وكيف علمتِ أنهُ سليم سليمان؟ فهو غامض للغاية.

اتكأت سمر على مقعدها ووضعت قدمًا على قدم، وقالت:

- كنت مدعوة إلى أحد الأمسيات التي أقامها أحد رجال الأعمال المصريين هنا في أحد الفنادق، فأنا أعرفهم جميعًا، وكان في الحفل عدد من الأثرياء من أصول مصرية، وكان هناك شاب مصري يواجه مشكلة في التواصل مع أحد الأتراك؛ لأنهُ لا يتقن التركية، ولذا تدخلت وترجمت لهُ وحللت المشكلة، فأنا أعشق مساعدة الناس، وكان كلاهما ممتن لمساعدتي، وعندما انتهيت وجدت شابًا وسيمًا أنيق الملابس ينظر إليَّ ويبتسم، فتجاهلتهُ تمامًا، فجميع الشباب يقومون معي بنفس الأمر! ولكنهُ اتجه إليَّ مباشرة وقال:

- إذن أنتِ مصرية؟

فأجبتهُ بدون اهتمام: أجل، حتى أنهي الحوار قبل أن يبدأ، ولكنهُ كان متعلقًا بالحوار بطريقة عجيبة وقال بسرعة:

- وأنا مصري أيضًا.

وظل يلح حتى يطيل الحديث معي، وقال عندما رآني أحاول أن أتهرب بعيدًا عنهُ قال:

- لم أعرفكِ بنفسي بعد، أنا سليم سليمان، وظل يفخم في نفسه لكي يثير إعجابي، ولا أعرف بعد ذلك كيف حصل على رقم هاتفي وعنوان قصري، ويظل يطاردني ليل نهار؛ لأنهُ يرغب بالزواج بي.

وقفت ياسمين من كثرة الملل وسارت بعيدًا عن الأحاديث التي لا تفهمها، والتقطت هاتفها تكتب لتعبر عن مشاعر الوحدة التي تنتابها منذ مغادرتها مصر.

زاد مللها ووحدتها، فاتجهت إلى سمر، وقطعت حديثها قائلة:

- أنا آسفة على مقاطعتكِ، ولكن أنا سأعود للمنزل، ويمكنكِ البقاء كما تشائين، وأمسكت بالهاتف تتصل بهِ.

رن هاتفهُ فابتسم عندما رن لأن الأمر كما توقع فأجابها:

- سأصل في دقائق معدودة.

أما سمر فكانت تتناقش مع نفسها، ليس لديَّ مزيد من المال لأعود بسيارة فارهة، لو تأخرت سيكون عليَّ أن أسير طويلًا حتى أصل إلى

الحافلة، وهذا ليس لائق، إذا لم يشاهدني أحد في المرة السابقة فقد يمسك بي هذه المرة.

فأجابت صديقتها التي كانت تقف تنتظر قائلة:

- سأعود معكِ، ولكن اجلسي حتى.. قطع حديثها هاتفها وهو يرن، فقالت ياسمين:

- ها قد وصل، هيَّا بنا.

أمسكت سمر بحقيبتها وهاتفها وهي تتأفف قائلة:

- لا أفهم كيف يصل في دقائق معدودة! أليس هذا غريبًا؟

رد ياسمين وهى شاردة

- ليس هذا فقط، ألم تلاحظي ملابسه الأنيقة، وساعتهُ إنها باهظة الثمن، والهاتف! كيف لشاب يعمل سائقًا أن يعيش بهذه الرفاهية المبالغ فيها؟

ضحكت سمر وهي تستمع لهذه الكلمات من صديقتها البريئة؛ وقالت:,

- هذا ليس بالأمر المبهر، تذكري ما أقوم بهِ لتعلمي أنهُ من السهل أن تبدى غنية وأنتِ فقيرة، ربما يسعى للزواج من فتاة ثرية ويتبع خطة كخطتي، ختمت كلامها وهي تخرج من الفيلا، بينما ياسمين تفكر فيما سمعت، ثم قالت:

- لا أظن ذلك، هو يبدو تلقائيًا ويميل للتواضع.

كانتا قد اقتربتا من السيارة، فصمتت كلتاهما، وما كادت سمر أن تجلس في السيارة حتى بدأت بالتسلية بهِ قائلة:

- تأتي بسرعة البرق، أليس هناك أحد يستخدمك غيرنا؟

دار بعيونه بضجر وهو يفكر في نفسه، ها قد بدأت مجددًا، أستطيع أن أفحمها، ولكن قد يكشف أمري، ولكن لا مشكلة من إسكاتها قليلًا، فرد:

- إذا كان يزعجك الأمر فلن آتي لأقلكما مرة أخرى، كما أنني جئت لأقل الآنسة ياسمين، أعرف أنها لا تألف الغرباء بسهولة.

شعرت في كلامه ببعض الغلظة، وكأنهُ تهديد صريح بألا ينقلها، وهي تود أن يبدو كسائقها الخاص، لذا قالت لتلطف الحديث قليلا:

- عندما تحدثت عن ياسمين ذكرتني بياسمين المصري صديقتي الثانية، إذا كنت من معجبيها إذن سأزف لك البشرى، سوف يُنشر لها لقاء بعد الغد مع صحفي اسمهُ حسين حداد، وستعلن هي عن هذا الحوار غدًا على صفحتها في تمام الساعة التاسعة بتوقيت القاهرة، لقد أخبرتني صديقتي بذلك.

وياسمين تدفعها من الأسفل بقدمها لتتوقف، وتحاول ألا يبدو على وجهها أي تغيير.

تمالك نفسهُ هذه المرة واستمر في قيادة السيارة باتزان، ورد ببرود:

- سنرى.

أرادت سمر للحوار أن يستمر معهُ بالطبع للتسلية، وهو يقطعهُ بكلماته المختصرة ونبرة صوته الحادة، فقالت:

- أخبرني إذا توصلت لياسمين هل تطمح أن تكون صديقًا لها؟

رد وهو يتنهد

- لا، أنا لا أرغب في صداقتها.

- إذن لماذا أنت مهتم بها؟

- أنا مهتم بها لأنني أحبها وسأتزوجها عندما أعثر عليها.

ثم نظرت كلتاهما لهُ غير مصدقتين ما سمعتا، وانفجرت سمر بالضحك، وكانت تميل إلى الأمام حتى يلمس وجهها ظهر الكرسي الأمامي، ثم تعود للخلف وهي مستمرة في الضحك بدون توقف.

حبست ياسمين أنفاسها وتلون وجهها باللون الأحمر حتى طغت حمرة وجهها على لون فستان سمر ولا تدري كيف تخفي ردة فعلها الواضحة على كلامه وتعابير وجهها تكشفها.

كان غضبهُ منها قد اشتد ويحاول أن يحبسهُ حتى لا ينفجر بها، لقد كاد أن يكشف نفسهُ ليفحمها ويسكت ضحكها الواضح سببهُ، وأمسك بيديه على عجلة القيادة بقوة يصب عليها بعض غضبه ونطق أخيرًا:

- لماذا كل هذا الضحك؟

حاولت هي أن تتوقف عن الضحك وتأخذ بعض الشهيق، ثم قالت:

- وهل ستوافق على الزواج من سائق وهي روائية مشهورة وناجحة وثرية أيضًا؟ كما أنك مجنون لأنك تقول هذا مباشرة وبشكل علني وبثقة تامة.

رد بصوت مكتوم الغضب وقد اقتضب وجهه:

- هل يعد الوضوح أمرًا غريبًا بالنسبة لكِ؟ أنا دائمًا صريح، وهذا هو الطريق الصحيح للوصول إلى قلب أي فتاة.

تابعت سمر بسخرية:

- بل الغريب أن شخصًا مثلك لا يعرف حتى اسمها الحقيقي، أو عنوان سكنها، ولم يرى وجهها، ويطمح للزواج بها!

- وهل تعلمين أنتِ الآن أين صديقكِ سليم سليمان؟

صمتت سمر وضحكت ياسمين، وقد كانت منذ قليل وكأنها غير موجودة، ثم ردت سمر بثقة تامة:

- هو في قصره الآن، فلقد كان يتحدث معي قبل خروجي من الفيلا.

ردت في سرهُ

يا ربي إنها لا تكف عن الكذب عليَّ في كل دقيقة، لولا أنها قد تفيدني في معرفة ياسمين لأنهيت كذبها في هذه اللحظة.

ومع ذلك لم يتمالك نفسهُ من الاستمرار باستفزازها فقال:

- لماذا لا يهديكِ صديقك الثري سيارة فارهة بدلًا من استخدام سيارة أجرة؟

أكملت وهى تعبث بخصلات شعرها

- وهل ستهدي أنت ياسمين المصري سيارة فارهة؟

- لو أرادت ياسمين سيارة لأهديتها أسطولًا من السيارات، ولكن فتاة مثلها لا تتزوج من أجل الحصول على سيارة، وأنا سأهديها ما هو أغلى من أن يُشترى بالمال.

- وما هو الذي لا يشترى بالمال أيها الفيلسوف؟

قال وهو يضع يدهُ على قلبه: سأهديها حبي، وقلبي، واحترامي ما بقي من حياتي، فهذا أكثر ما يجعل الفتاة سعيدة في حياتها.

تعمدت أن تنظر لهُ في المرآة ليرى انعكاس عيونها، وقالت:

- كف عن الكذب وعن تلك الأوهام التي في رأسك.

رد بلهجة غاضبة وأوقف السيارة فجأة بعنفٍ وقال:

- أنا لا أكذب ولا أتوهم، فقد تركت كل الأوهام لكِ.

صمت كلاهما ينتظر ردة فعل الآخر، وخافت ياسمين أن هذا هو الهدوء الذي يسبق العاصفة، عاصفة اصطدام غضبهِ وغرورها، فقالت:

- أرجوكما توقفا عن ذلك، ونظرت لهُ وقالت:

- أنا آسفة هي لم تكن تقصد إغضابك.

خفف من نبرة صوته وهو يجيب ياسمين قائلًا:

- لماذا تعتذرين؟ أنتِ لم ترتكبي أي حماقة!

نظرت لها تنتظر أن تعتذر، ولكنها تمسَّكت بالغرور، فعلمت ياسمين أنها لن تعتذر، فقالت:

- إذن لماذا لا تقود السيارة لتكمل الطريق؟

رد وهو يبتسم قائلًا:

- آنستي لقد وصلتما للقصر! انظري حولكِ.

نظرتا حولهما بدهشة وترجلت كلتاهما من السيارة وهو يحدق بسمر بحنق وعيناه تبعثان النيران خلفها، وما إن قطعا خطوات قليلة حتى بدأ الاثنان معًا في شجار آخر، وتحاولان ألا يصل لهُ صوت شجارهما، لكن تترامى إلى أذنيه بعض كلماتها مثل كفي عن التكبر، و.. ودخلا إلى القصر، وأغلق الباب ببطئ ليحجب نور المصباح المضاء بالداخل، اختفى النور من على السيارة ثم من على عيونه وهو ينظر بغضب حتى أظلم وجهه بالكامل، أمسك بهاتفه وطلب مدير أعمالهِ وهو يطرق بأصابعه على عجلة القيادة بغضب قائلا:

- هيَّا أجب أجب هيَّا.

رد مدير أعمالهُ:

- مرحبًا.

ردت بغضب

- هل تذكر تلك الفتاة الكاذبة التي نشرت الإشاعة حولي؟

كان مدير أعمالهُ لا يستوعب كونهُ بدأ في الحديث مباشرة بهذا الشكل الغريب وبدون أن يرد التحية، وحك بيده في رأسه ينعش ذاكرتهُ عمن يسأل عنها بهذه الطريقة الغريبة، ثم قال:

- أجل، سمر.

- أجل أقصد هذه الكاذبة، أنت لديك المعلومات عنها، وقد ذكرت لي أن القصر الذي تسكن بهِ هو إيجار، وأنها تعمل في مركز لتعليم اللغات، وتعمل معلمة في مدرسة أليس كذلك؟

- أجل يا صديقي كل هذه المعلومات صحيحة.

- إذن اسمع ما سأقولهُ وستنفذه بالحرف الواحد، أولًا ستذهب لصاحب القصر وتشتريه منهُ بأي سعر يطلبهُ، ثم ستفعل نفس الأمر مع مركز اللغات التي تعمل بهِ، وبعد ذلك ستطردها من القصر، وستفصلها من عملها في مركز اللغات في نفس اليوم، هل تسمعني؟

- نعم أسمعك، ولكن..

- لا تناقشني فيما أقول، فهي تستحق أكثر من ذلك، مع السلامة.

وأغلق الهاتف وهو يقول:

- لقد استنفذتِ صبري وتبالغي في استفزازي، لا بد من تأديبكِ.

بدى على وجهه أنهُ تذكر أمرًا ما وأمسك بالهاتف، وطلب مدير أعمالهُ مرة ثانية فأجابهُ:

- مرحبًا.

- هناك شيء آخر، أخبرتني تلك الكاذبة أن ياسمين المصري أجرت لقاءً مع صحفيٍّ وستعلن عنهُ في الغد مع اسم الصحفي على حسابها، فلو صدقت تلك الكاذبة إذن فهذا الصحفي توصَّل إليها، فأريدك أن تصل للصحفي بأي طريقة وتعرف منهُ على اسمها الحقيقي، وعنوان سكنها.

- كما ترغب يا صديقي، اعتبر الأمر قد تم.

****

أما ياسمين فما أن أغلقت باب القصر حتى أمسكت يد سمر وجذبتها حتى تستدير لها، فاستدارت الأخرى وهي تقول:

- ماذا هناك؟

ردت بغضب

- في البداية سخرتِ مني في حديثك، وأنا اعتبرتها مزحة صغيرة من صديقة، ثم كدتِ أن تخبريه أنني ياسمين المصري، وفي النهاية استخدمتِني كوسيلة للتكبر عليه والسخرية منهُ.

ضحكت الأخرى وهي تضع يدها على فمها وهي تقول:

- لقد ذكرتني بما يقول إنه.. ثم أخذت تضحك مجددًا، إنهُ يرغب في الزواج منكِ! لقد حصلتِ على عريس بهذا المستوى بسبب اختفاءك بعيدًا حتى هذه اللحظة، لا يمكنني تصديق ثقتهُ في نفسه وهو يقول: "سأتزوجها" لقد كاد أن يجزم بالأمر.

ردت ياسمين وهي تنظر لها مباشرة:

- مثلكِ تتوقعين الزواج بأحد الأثرياء.

تابعت سيرها بغرور وقالت:

- ولكن أنا أخطط للأمر، أما هو فلا.

أمسكت ياسمين بيدها مرة أخرى وقالت:

- يجدر بكِ الاعتذار منهُ، فلقد جرحتِ مشاعرهُ، ألم تري عيونهُ عندما وقعت سخريتكِ على أذنيه؟

- لا لن أعتذر.

قالتها وهي تصعد السلم للطابق العلوي.

- إذن لا تسخري منهُ مجددًا.

- اتفقنا، فأنا لا أهتم بهِ أو بأوهامه، فقط كنت أتسلى في الطريق الممل.

****

أمسك بهاتفه ونظر للساعة ينتظر صدق الكاذبة، يتمنى أن تصدق هذه المرة فقط من أجل حبيبته الهاربة كعصفورة رقيقة تخشى بنادق الصيادين.

نظر لهاتفه وابتسم لقد صدقت هذه المرة، وبسرعة كتب اسم الصحفي واتصل بمدير أعمالهِ الذي أجاب فورًا:

- مرحبًا أعرف سبب اتصالك، لقد كتبت بيانات الصحفي، وسأتواصل معهُ قبل الغد.

رد والابتسامة على وجهه:

- هل تعلم أنك أفضل صديق ومدير أعمال بالعالم؟

رد الآخر ممازحًا: لنرَ هل ستظل على نفس الرأي بعد ما سأقول أن سيتغير؟

- هات ما عندك يا صديقي.

- نحن مسافرون إلى مصر بعد الغد لكي نفتتح الفندق بالأقصر، وفي الغد سأتواصل مع الصحفي كما أخبرتك، وليس لدى وقت للكاذبة، لذا فقد وكلت أحد مساعدينا للقيام بالأمر كما طلبت، وعندما نعود من مصر ستجد ما أمرت قد نفذ، فما رأيك؟

رد وهو يعبث بالقلم الذي في يده ويطرق بهِ على المنضدة قائلًا:

- لأنك أخبرتني بهذا الكلام بعد الخبر الجميل المنتظر فلم يبقَ لدي من الغضب شيء، فلا بأس.

أنهى المحادثة واتجه وألقى بنفسه على سريره ووضع يديه أسفل رأسه ونظر للأعلى وقال في نفسه:

لقد اقتربنا يا ساحرة الكلمات الرقية والعقل الجميل..

في الصباح ارتدى ملابس أنيقة، ووضع هاتفهُ في خزانته، وأخذ هاتف آخر، وخرج من القصر وهو يلوح لوالده، قائلا: مع السلامة يا أبي، وغادر القصر على عجلة.

وصل إلى المطار، وعند طائرته الخاصة كان مدير أعماله في انتظاره هو وبعض مساعديه، كان متعجلا ليسأل عما في عقله أكثر من السفر، وما أن جلس في الطائرة مع مدير أعماله أوغلو الذي تبسم وأخرج الورقة وهو يقول:

- لن تتخيل كيف كان حديثي مع الصحفي الذي ظل يثرثر لوقت طويل عن رحلة كفاحه للوصول إليها، قال إنهُ يبحث عنها منذ عامين حتى حصل على عنوان سكنها في أحد الأماكن الفقيرة، وبعد أن ذهب إليه وجدها وعائلتها قد تركا هذا السكن منذ عام وانتقلا إلى مكان آخر، وبدأ البحث من جديد حتى استطاع الوصول إلى سكنها الحالي، وعلى الرغم من ذلك لم يستطع مقابلتها، بل قابلتهُ والدتها وترك لها بيانات الاتصال بهِ، وبعد أسبوعين من الإلحاح على والدتها التي كانت تتهرب منهُ اتصلت بهِ مديرة أعمالها ورتبت اللقاء عبر الإنترنت مع شروط صارمة بعدم ظهورها للعلن، بل وهددت بمقاضاتهُ إذا فعل، وفي النهاية تم اللقاء الأسطوري.

رد سليم وهو مبتسم:

- وهل حكى لك كيف تبدو؟

- بالطبع سألتهُ، وقال: "إنها فتاة بيضاء بعيون مستديرة بريئة للغاية، وتلقائية، كلماتها تخرج من بين شفتيها لتدخل القلب مباشرة.

تبسم وهو ينظر لنافذة الطائرة قائلا:

- هذا ما حدث معي عندما قرأت رواياتها الواحدة بعد الأخرى، لقد ظلت تلامس قلبي حتى امتلكتهُ بأكمله بكلماتها، يا لها من ساحرة بريئة! تسحر القلوب بطريقة مشروعة.

وأخذ ينظر لاسمها في الورقة وعنوان سكنها وهو يقول:

- بإذن الله سأذهب إليها اليوم بعد وصولي مصر مباشرة، ففي الغد سيكون الافتتاح، وقد أنشغل عدة أيام، ولا أطيق الانتظار أكثر.

*****

وبعد دخوله غرفته بالفندق ظل لوقت طويل يقول لمدير أعماله:

- ما رأيك بهذه البدلة؟ أهي أجمل أم الأخرى؟

ظهر الإرهاق في عيون أُوغلو الذي أعاد عليه هذا السؤال بعدد بدلاته التي أحضرها معهُ، وقد وضع يدهُ على خده، وبعد أن يجيبهُ: إنها جميلة يعود الآخر فيرتدى بدلةً أخرى، ويعيد نفس السؤال! وبعد أن أجابهُ: هذه أجمل، نظر لهُ سليم وكأنهُ تذكر شيئًا ما، وقال:

- كيف أقتنع برأيك أو ذوقي في اختيار ما سأرتديه، بينما أنا أحاول إثارة إعجاب فتاة تختلف عن طبيعتنا كرجال كل الاختلاف؟

رد الثاني بقليل من السخرية

- يمكننا أن نستدعي كل العاملات السيدات في الفندق ونأخذ رأيهن في اختيار ما سترتدي!

- أنت تمزح! وكيف أعلم أن ذوقها من نفس ذوقهن؟

- على ما أعتقد لن يكون هناك وقت للذهاب إليها؛ لأننا أصبحنا كالفتيات نضيع أغلب أوقاتنا في اختيار ما سنرتديه.

نظر في ساعته وقال:

- حقًا لقد ذكرتني أن جدولي مزدحم، إذن إلى اللقاء.

***

في تركيا تجهزت كلتاهما للخروج، وسألت سمر: ماذا ستزورين هذه العطلة؟

- أود زيارة مسجد السلطان سليمان.

ردت بضجر

- ألا تكتفي من الأماكن التاريخية، مسجد أيا صوفيا، مسجد ميها ماي، المتاحف، عليكِ بزيارة بعض الأماكن الترفيهية، إنها أروع.

ردت وهي تمسك بحقيبتها: ليس هناك أجمل من التجول عبر العصور، في تلك الأماكن التي تشعر فيها وكأنك كنت حاضرًا في ذلك الماضي البعيد، بينما أنت هنا في الحاضر، أليس هذا رائعًا؟

- كما تشائين، اتصلي بالسائق.

ظلت تطلبهُ وهاتفهُ يرن في خزانته لا يسمع رنينهُ سوى الجدران، فرفعت الهاتف من على أذنها ونظرت إلى سمر وقالت:

- يبدو أنكِ أغضبتيهِ بما فيه الكفاية في المرة الأخيرة، انه لا يُجب.

هربت الأخرى بنظراتها إلى النافذة ولم ترد، وبعد برهة قالت:

- أتصلي بهِ مجددًا وسيجيب.

****

جلس هو في الصالون ووضع الزهور بجانبه، بينما تنظر له والدتها بانبهار، أنهى مشروبهُ الذي قدمتهُ حتى لا يزعجها، ثم قال بسرور والابتسامة تملأ وجههُ:

- لقد جئت أطلب يد الآنسة ياسمين المصري.

تهلل وجهها الأم وقالت:

- لقد قابلتك للتو، ولكن قلبي يشعرني أنك شاب طيب، ماذا تعمل؟

ابتسم أكثر، وقال:

- أنا يا أمي رجل أعمال، لديَّ شركة سياحة عالمية لها فروع في أكثر من دولة اسمها شركة*#"*

هكذا بدى لها الاسم الذي ذكرهُ للتو، فلم تستطع تمييزهُ على الإطلاق، فقالت:

- بسم الله ما شاء الله، بسم الله ما شاء الله، وكم عمرك؟

- أنا في الخامسة والثلاثين من عمري.

ردت بسرور:

- جميل، إنها أصغر منك سنًا.

ابتسم أكثر وقال:

- أمي، العمر ليس لهُ أهمية بالنسبة لي، ما يجذبني لها هو أفكارها، وشخصيتها هى من ستحى معي، فأنا لن أتزوج الأرقام.

أخذت تنظر لهُ بسعادةٍ ولم تقل شيئًا، شعر بالارتياح وبقبولها له فتشجع وقال :

- هل يمكنني مقابلتها لنتعرف قليلًا، ربما يساعدها هذا في قرارها.

ذمت شفتيها ووضعت يد على يد وقالت

- أنا آسفة يا بني، هي ليست في المنزل الآن.

بهتت ابتسامتهُ قليلًا وقال:

- هل يمكنني الحصول على موعد؟

نظرت حولها تفكر لحظة ثم قالت

- اكتب بياناتك في ورقة ورقم هاتفك وأنا سأعطيها الورقة، وستتصل بك لاحقًا.

نفَّذَ ما طلبت، وسلَّمها الورقة بكامل التفاصيل عنهُ، بل وأضاف في بياناته حتى بدت الورقة كخطاب.

*****

ما إن دخلتا القصر بعد عودتهما حتى قالت لها سمر:

- انظري إلى تلك الصور الرائعة التي التقطها لكِ وأنتِ غارقة في الماضي بداخل المسجد، لقد كنت أتوقع أنكِ لن تنتبهي لضرورة التقاط صور للذكرى هناك.

أخذت ياسمين تشاهدها، فأكلمت سمر:

- لو كنت مكانكِ لنشرتها الآن على حساباتي ليعلم الجميع أنني في تركيا الجميلة أتنزه كفتاة ثرية.

ردت الأخرى وهي تغلق غطاء الهاتف:

- أجل بعد أن خططتِ لهروبي من بطريقة ذكية أعلن عن نفسي، وليعلم من تركت مصر بسببه أين أنا، فأضطر إلى ترك تركيا والهرب مجددًا.

صفعت سمر جبهتها وقالت

- أوه لقد نسيت ذلك و..

رن الهاتف وقطع حديثهما، فقالت ياسمين:

- إنها هاجر، لم أتحدث لها منذ الأمس، سوف أذهب لأتحدث معها من اللاب توب في غرفتي .

- وأنا ذاهبة لأخذ حمام ساخن قبل النوم.

ما كادت ياسمين تقول مرحبًا أمام اللاب توب حتى وجدت والدتها تقفز في وجهها في بالشاشة بجانب هاجر وتقول :

- لقد جاء اليوم شاب ما أجملهُ يطلب يدكِ للزواج، لو رأيته يا ياسمين ستوافقين بدون تفكير.

والتحمتا هاجر وسارة بها تقولان:

- حقًا لماذا لم تخبرينا؟

والثلاثة يلتصقن معًا على شاشة اللاب بشكل أثار ضحك ياسمين، ثم قالت:

- وما عملهُ؟

فردت والدتها بسرعة: كل بياناته هنا، انظري، وفتحت الورقة فخطفتها سارة ونظرت بها، فظهرت البلاهة على وجهها وهي تقول:

- ما هذا؟

خطفت الورقة هاجر بدورها ووالدتهما تصيح:

- انتبها ستمزقان الورقة، ما الذي كُتب فيها؟

لم تجب هاجر، وإنما قالت: أي لغة هذه الغريبة، انظري يا ياسمين، وقرَّبت الورقة من الشاشة، نظرت ياسمين بدورها وهي تدقق في الورقة، وقالت:

- كم هذا غريب! لماذا كتب بياناته باللغة التركية؟ أليس هو مصريًّا؟!

ردت هاجر بانزعاج:

- إذن ماذا كتب بها؟

دققت ياسمين النظر أكثر وقالت:

- لم أتقن التركية بعد، انتظري قليلًا عندما تخرج سمر من الحمام سأجعلها تترجمها لنا، أو ربما في الغد؛ لأنها تأخذ حمامها، ثم تنام، فهي تعمل كثيرًا، ولا أود إرهاقها.

بينما ظهر العبوس على وجه الثلاثة، وقالت والدتها:

- وهل سننتظر للغد؟

الفصل الثاني

الجميع ملتف حولهُ كإلتفاف الحاشية حول الملك وهو يمسك بالمقص ليقطع شريط افتتاح الفندق ، بعد أن لامس المقص الشريط الأحمر توقف فجأة واتسعت عيونه ونظر إلى أُوغلو، وقال: يا ربي لقد نسيت وكتبت بياناتي باللغة التركية لوالدة ياسمين، يا لغبائي! هل تصدق ذلك؟

الجميع نظر لهُ ويتساءل لماذا توقف؟ وما هذه الكلمات الغريبة غير المفهومة في مثل هذا الوقت! لأنهُ لم يكن يتحدث بالمصري.

فأشار له أوغلوا لمواصلة قطع الشريط، وسط تصفيق الجميع، ثم أخذ يحكي لصديقه بالتركية حتى لا يفهمهُ المحيطون بهِ المهنئون ماذا فعل، والثاني يطمئنهُ قائلًا:

- إن هذا ليس بالأمر الهام، يمكنها ترجمتها باستخدام جوجل،

أما والدتها فأمسكت بالورقة بحرص وقالت:

- سأضعها في علبة الذهب حتى لا تضيع، وضعت الورقة في علبة الذهب وحفظتها في الدولاب، وعندما أغلقت باب الدولاب سمعت صوتًا قويًا وكأن شيئًا ما قد وقع، فتحت الدولاب، فقد ظنت أن العلبة قد سقطت، فوجدتها كما هي، وتعالت أصوات تأتي من الصالة، فهرولت تنظر ماذا يحدث؟

وجدت سارة وهاجر كلتاهما يركضان في اتجاه الباب وهما في فزعة وتقولان: من؟ ما الذي يحدث بالخارج؟

فتحت والدتهم الباب فوجدت الشرطة في كل مكان، انتشروا في الشقة في لحظات من دون أن يتحدث واحد منهم بكلمة واحدة لها، نظرت سارة وهاجر إلى والدتهما وسألت الأم وهي تعلم:

- حضرة الضابط هل يمكنني أن أسأل ما الذي يحدث في شقتي؟

وضابط الشرطة يتنقل في أرجاء الشقة بدون اهتمام لسؤالها، خرج العساكر من الغرف، وقال الجميع :

- لا يوجد أحد آخر في الشقة، فعاد لها الضابط قائلًا:

- أين ابنتكِ ياسمين؟

شعرت ببعض الخوف وقالت:

- لماذا تسأل عنها؟

نظر لها نظرة احتقار وقال

- لدينا أمر بالقبض عليها.

زاد خوفها وأكملت:

- ماذا فعلت ليُقبض عليها؟

- كتبت رواية أساءت بها إلى نظام الحكم لدولة صديقة، ولا يجب أن تتأثر العلاقات بين البلدين بسبب رواية تافهة، والآن أين هي؟

- ياسمين سافرت إلى ألمانيا.

نظر لها ضابط الشرطة بغضب وقال:

- لو كنتِ تكذبين فسأعثر عليها، وعندها سأعاقبك لأنكِ ضللتِ الشرطة.

- أنا لا أكذب، ياسمين سافرت بالفعل إلى ألمانيا.

سار الضابط بخطواتٍ بعيدًا عن الأم وابنتيها، ثم أمسك بهاتفه واتصل بأحدهم الذي أجاب بسرعة:

- ألو، هل قبضت عليها؟

رد الضابط في خجل:

- للأسف لا، هي ليست في الشقة، ووالدتها تقول إنها في ألمانيا، وأعتقد أنها ليست هنا، أثناء تفتيش الشقة لم نعثر على أي مقتنيات لها، وكأنها لا تنتمي إلى هذه الأسرة، إعتقد أن أحد حذرها فهربت.

رد الآخر بغضب:

- ابحث عن أي خيط يستطيع أن يوصلنا بها، فلو كانت هاجرت كيف سنبحث عنها في دولة أخرى؟ سواء ألمانيا أو غيرها؟ ولو عثرت على هذا الشيء فلك مكافأة كبرى ستعوضك عن عملك في الشرطة لسنوات.

أغلق الضابط الهاتف وقال للعساكر:

- أعيدوا تفتيش الشقة وأعثروا على أي شيء متعلق بها.

انتشر العساكر يفتشون بدقة أكثر، والأم وابنتاها يحدقان في الضابط بغضب ويتمتمان في سرهن قائلات: "يا رب تولع، داهية تحرقك".

سار الضابط في أرجاء الشقة وعلى وجهه نظرة الدهاء، حتى وصل إلى غرفة الأم، كانت كل أبواب الدولاب مفتوحة على مصراعيها وعلبة الذهب وسط الملابس المبعثرة، فقام بفتحها.

نظر للورقة التي بين الحليّ الذهبية وهو يتساءل: لماذا تحتفظ بهذه الورقة بين الذهب؟

فتح الورقة وهو ينظر ويتساءل: أي لغة هذه؟ وهل هذا خطاب أم ماذا؟ لا بد أن هذه الورقة مهمة، بسرعة وضعها في جيبهِ خفية وهو يراقب هل رأتهُ المرأة أو إحدى بناتها، خرج من الغرفة وكأن شيئًا لم يكن وقال: هيَّا ليغادر الجميع.

ما إن غادرت الشرطة حتى قالت الأم:

- من حذرنا كان محقًا، علينا أن نحذر ياسمين، هيا اتصلي بها يا سارة، اتصلت سارة وكانت الأخرى لا تزال أمام اللاب توب تحاول أن تكتب، فأجابت: مرحبًا، وجدت الثلاثة في وجه الشاشة ويغطي وجوههن العبوس، فقالت بريبة: ماذا هناك؟

حكَّت لها والدتها ما حدث، فسمعت صوتًا من خلف ياسمين يقول:

- لا تنزعجن، لقد هربت بالفعل، وهي هنا في أمان.

إنها سمر كانت تمر وسمعت ما يحدث فاقتحمت المحادثة فورًا، انخرط الجميع في الحديث معا، وحدها ياسمين كانت صامتة، ثم قالت: أمي، استمعي إليَّ جيدًا، قد يعودون لمضايقتكن، لذا ارحلن عن هذه الشقة إلى

إحدى الشقق المفروشة، وابقين بها لوقت طويل حتى نكتشف ما سنفعلهُ فيما بعد.

- تبدو فكرة جيدة، هذا كان تعليق هاجر، فهي تحب الذهاب لأماكن جديدة باستمرار، ثم قالت سارة:

- لقد نسينا أن سمر معنا، هيًا يا أمي، أحضري الورقة لتترجمها لنا.

وسمر تسأل:

ورقة! أي ورقة؟

انصرفت الأم بسرعة لتحضر الورقة، بينما الثلاثة يوضحن الأمر لسمر التي قالت:

- حقًا هل أخبر والدتك أنهُ رجل أعمال؟ كم سيكون هذا رائعًا! وهي تنظر لياسمين، والأخرى تبدو وكأنها في عالم آخر والحزن على وجهها.

عادت والدتها بوجه متكدر وقالت:

- لم أجد الورقة! لقد وضعتها في علبة الذهب لكيِ تكون في أمان ولم أجدها! الجميع يتساءل أين ضاعت؟ وكيف؟

فقالت ياسمين بلهجة يملؤها الغضب: انسوا أمر الورقة الآن، أمي استمعي لنصيحتي وغادري الشقة، فأنا لن أستطيع النوم حتى تغادريها، سأبقى في قلق دائم.

وبعد أن أغلقت جهازها صاحت سمر في ثقة:

- لتعلمي أن لديكِ صديقة ذكية، لقد كنت أعلم أن والدتك طيبة وستخبر عن مكان وجودك، لذا فقد أخبرتها أنكِ في ألمانيا.

ضحكت قليلًا، ثم أكملت:

- بينما أنتِ في رحلتكِ ذهبتِ أولًا إلى إيطاليا، ومن إيطاليا إلى هنا، وسيصعب عليهم اقتفاء أثرك، كم أنا ذكية!

وياسمين تتساءل مع نفسها فيما قد يحدث لها في المستقبل؟

****

مرَّت ثلاثة أيام وهو ينتظر أن يرن هاتفهُ بالمكالمة التي يحلم بها، ويظهر القلق على وجهه، وأُوغلو يهدي من توتره قائلا :

- لم تمر سوى أيام قليلة، لن تكفي حتى ليسألوا عنك ويعرفوا من تكون، ثق بي ستوافق عندما تعلم من أنت، فمن تلك التي ترفض شابًا ثريًا ناجحًا ومميزًا مثلك!

انقضى أسبوعان وأنهى كل أعماله في مصر وعاد للاقصر، ولم تستمع أذنيه للاتصال الذي كان يتمنى، فقال لصديقه: إذن سأذهب إليها وأحاول معها من جديد، فقد توافق على مقابلتي، أنا متأكد لو استطعت أن أحظى بلقائها سأقنعها؛ لأنني أشعر أن هناك أشياء كثيرة مشتركة بيننا قد تراها عندما نلتقي.

هز أُوغلو رأسهُ كتأييد لما يقول صديقهُ، فلم يتأخر لحظة، واتجه إلى شقتها، ظل يرن جرس الشقة دون أن يجيب أحد، ولكن هذا هو الأمل

الوحيد، فيرن الجرس مجددًا فلا يجد جوابًا، فوقف يفكر من الممكن أن تكون بالخارج، فسمع صوت أقدام شخص قادم فنظر، لا ليست والدتها، وإنما أحد الجيران الذي كان متجهًا إلى الشقة المجاورة، وعندما لاحظهُ يقف أمام الشقة قال:

- أيها السيد، إن الشقة فارغة، فلقد تركتها صاحبتها ومعها بناتها، وانتقلن إلى مكان آخر.

لحق بالرجل الذي كان على وشك أن يدخل شقتهُ وقال:

- سيدي أرجوك هل تعلم أين ذهبوا؟

- لقد سألتهم زوجتي نفس السؤال ولم يخبروا أحد بمكان انتقالهم.

شكر الرجل وتولى وهو يشعر بالضيق، ألقى بالزهور التي كان يحملها عند مدخل العمارة، غادر يمسك بهِ حزنهُ وتتعلق بهِ خيبة الأمل.

خرح من باب العمارة وهو يتحدث لأوغلو في الهاتف قائلا:

- لتجهز كل شيء للسفر، فأنا عائد إلى تركيا اليوم.

*****

ظلت هي تعيد عليه الاتصال وهو لا يجيب، حتى لاحظت سمر فقالت:

- لماذا كل هذا الاهتمام بهِ؟ فأنتِ لم تهتمي بمن تقدم لخطبتكِ مثل اهتمامك بهذا السائق.

تنهدت الأخرى وقالت: يدعوني شقيقتهُ على الرغم من أنني غريبة عنهُ، ولم ترينهُ كيف كان يعاملني بأدب وذوق أعلى من المعتاد، ودائمًا ما يقول لي:

- أرجوكِ عديني أن تطلبيني إذا احتجتِ أي مساعدة، وبعد كل ذلك ستنكرين عليَّ أن أسأل عنهُ وأنا أعلم أنكِ سخرتي منهُ وجرحتِ مشاعرهُ! يا لكِ من جاحدة!

ردت الأخرى وهي تتكئ بيدها على وسادتها:

- أكثر ما يضحكني فيما ذكرتِ هو قولهُ شقيقتي، وضحكت وهي تكمل حديثها قائله: عندما كنت أزور أقاربي في الصعيد كانوا لا يسمحون للبنات والأولاد بالاختلاط معًا، ويكرهون الاختلاط بشدة، ولكن بين بنات وأولاد العم يحدث الاختلاط وبشكل مبالغ، وعندما نسأل لماذا؟ أليس ابن العم ذكرًا ؟! يكون ردهم: لا، ابن العم للفتاة كشقيقها تمامًا، إنهُ أخ لها، وفجأة عندما يكبرون أجد الأخوَّة قد تحولت إلى زواج، وتزوج ابن العم من شقيقته!

وانفجرت أكثر بالضحك، ثم التقطت أنفاسها من كثرة الضحك وقالت:

- وهذا السائق نفس الأمر يدعوكِ شقيقتهُ وهو يتمنى الزواج منكِ، أليس هذا مضحكًا؟ واستمرت في الضحك.

استعاد وجه ياسمين حمرتهُ وخجلهُ، ثم قالت باستحياء:

- ولكنهُ يساعدني بدون أن يعلم أنني ياسمين، إذن فهو شخص مهذب علينا احترامهُ، ثم سارت بعيدًا عن سمر حتى جلست في نهاية القصر بجانب النافذة وهى تنظر للهاتف.

******

هبط من طائرته الخاصة لا ينتظر من يسير خلفهُ أو حتى ينظر لمن يسير بجانبه، وإنما تسارع أقدامهُ الغضب الذي يلحق بهِ وهو يحاول الهروب منهُ، وعندما جلس بسيارته نظر لهُ أُوغلو الذي كان يجلس بجانب السائق وقال:

- اليوم ستطرد تلك الكاذبة من القصر ومن مركز اللغات كما أمرت.

رد الغضب الذي يقف فوق رأسهُ ويغلي بداخل قلبه على لسانه قائلًا:

- تستحق ذلك؛ كاذبة ومغرورة، تكذب على سمعتي وتتكبر، فهذا ما يجب أن تلقاه كأجر لما تفعل، ثم أشاح بوجهه ونظر لنافذة، فقد يجد بها منفذًا يخرج منها غضبهُ أو يلقي بهِ على جانب الطريق.

دخل إلى قصره وكان والدهُ في انتظاره؛ فتصافحا، كان وجههُ يفصح عما بداخله، فمثلهُ كالماء النقي ترى ما هو موجود بقاعه بوضوح، فسأل والدهُ:

- هل سارت كل الأمور بخير؟

- أجل يا أبي، لقد أنهيت كل الأعمال التي سافرت من أجلها إلى مصر.

- فلماذا تبدو غاضبًا؟

- لست غاضبًا، وإنما قليلًا من الإرهاق بسبب العمل.

مدَّ يده وطبطب على كتفه برفق وهو قال:

- لقد أثقلت كاهلك بالعمل منذ أن كنت صغيرًا في الخامسة عشر من عمرك لتكون شابًا قويًّا ناجحًا، وقد أصبحت كذلك بالفعل، فلتذهب للراحة كما ترغب، ثم عد إليَّ لنتحدث في أمر زواجك، فأنت تقول منذ عامين أنك ستتزوج ولم تأخذ خطوة حقيقية في الأمر.

ابتسم ابتسامة حزينة وذهب لغرفته، جلس فتحول الغضب إلى حزن وهاجمتهُ الأفكار والمشاعر السيئة معًا، يحدث نفسهُ قائلا منذ عامين وأنا أحاول الوصول إليها ولم أجد خيطًا يوصلني بها، وعندما عثرت عليه واقتربت منها انقطع الخيط وابتعدت أبعد من ذي قبل، وأنا من استمعت إلى قلبي الكاذب الذي كان يخبرني أنها تقترب، لقد كنت ساذجًا وأصبحت مثل الفتيات أسير خلف قلبي ومشاعري، سحقًا لذلك العشق ولمن يقع بهِ، سحقًا سحقًا!

صمت عقلهُ قليلًا ثم عاد يفكر: ولماذا ألوم شيئًا آخر؟ لماذا لا أكون قد ارتكبت خطأً فعاقبني الله بحرماني منها من قبل أن أصل إليها؟ فنحن ننسى أخطاءنا وكأننا لم نرتكبها يومًا، ونسجل أخطاء الآخرين في دفتر من الذكريات غير قابل للمحو أبدًا أو المغفرة، نعم هذا ما نفعلهُ، فما هو ذلك الذنب يا ترى؟

امتلأت الغرفة عن آخرها بحزن كاد أن يخنقهُ، لا يستطيع أن يتنفس، كلما تنفس يغرق قلبهُ بمزيد من الحزن، نهض من على مقعده وغادر

القصر وهام على وجهه لا يعرف إلى أين يذهب ليهرب من ذلك الحزن الخانق.

كانت لا تزال منزوية في نهاية القصر مغمورة بالتفكير في شيء ما، وتراقبها سمر تفكر أيضًا بتصرفاتها الغريبة، ثم أمسكت ياسمين بهاتفها وكتبت على صفحتها: بداخلي بحر من الكلمات أحبسهُ بقوة، لو أطلقتهُ لأغرقتك كلماتهُ، وأنا أخشى عليك الغرق.

كان هو ممسك بهاتفه فقرأ ما قد كتبت، وشعر وكأنها تخاطبهُ، فكتب لها: سأكون سباحًا ماهرًا، وسأبحر في هذا البحر، وسأتمسك بأمواجه، وسأرتوي من بحر كلماتك حتى أصل إلى شاطئ قلبك فأسكنهُ إلى الأبد، لو كنتِ في أعماق البحار لبحثت عنكِ بين اللآلئ والدرر، ولو كان بيتك في السماء لبحثت عنكِ على سطح القمر، ولكني لا أعلم هل أنتِ من عالم الإنس أم عالم الجان؟

قرأت ما قد كتب في هذا التعليق، فتعجبت أكثر من صاحب هذه الكلمات الجميلة، وشعرت بأن كلماتهُ تخاطب قلبها لا عقلها.

وقبل أن تنظر اسم صاحب الكلمات رن جرس الهاتف فشتت تركيزها، نظرت فرأت سمر اتجهت لتجيب، فعادت بعيونها لتقرأ اسمهُ.. فسمعت صوت سمر تتحدث بصوت مرتفع ممزوج بالغضب الذي ظهر على وجهها، فتركت هاتفها واتجهت لها ترى ماذا يحدث؟

أغلقت سماعة الهاتف وهي تصرخ بغضب قائلة:

- غير معقول، ستفسد خطتي، لا.

اقتربت منها ياسمين بسرعة وقالت :

- ماذا حدث؟

أجابت الثانية وهي في ذلك الغضب الذي على وشك أن يؤدي بها إلى الانهيار:

- صاحب القصر أخبرني أنهُ اتفق على بيعه ، وسيوقع العقد اليوم، وأن علينا المغادرة خلال أسبوع فقط، لا أستطيع أن أصدق أن هذا سيحدث.

ياسمين تتأمل ردة فعل صديقتها التي تربط سعادتها بأشياء لا تملكها، ولذا تظل السعادة بعيدًا عنها، وتظل مكانها لا تحقق أي نجاح، ولكن كيف لها أن تفهم هذا؟ عليَّ تهدئتها، فهذا ما تحتاج لهُ الآن.

اقتربت منها وهي تجلس بغضبها الثقيل على المقعد، ووضعت يدها على كتفيها من الخلف ومالت ناحيتها وقالت:

- لا تحزني يا صديقتي، اختاري مكانًا آخر جيدًا وأنا سأدفع إيجارهُ.

ردت وهي تغالب البكاء:

- لا يوجد مكان مثالي مثل هذا، لقد ظللت أسابيع أبحث عنهُ بدقة، فهو بهِ كل المميزات، وقد تعرفت منهُ على الأثرياء، وهو أرخص مكان مقارنة بالأماكن الأخرى.

ظلت ياسمين تحاول تهدئتها حتى رن جرس الهاتف، فنظرت كلتاهما للهاتف ونهضت ياسمين وقالت: إنهُ رقم المركز الذي تعملين بهِ، إنهُ أمر غريب لماذا يتصلون بكِ الآن؟

تناولت سمر الهاتف وأجابت بصوت حذر: ألو، لم تكد تستمع لما يقولهُ الطرف الآخر حتى ارتفعت نبرة صوتها وأصبح لون وجهها مخطوفًا في ومضة عين، ووضعت يدها على فمها وكأن صاعقة قد سقطت على رأسها للتو بعد أن اخترقت أذنيها.

شيء مريب قد قيل لها وهي تحاول أن تتناقش بيأس؛ فتصرخ تارة، وتتماسك نفسها لكيلا تبكي تارة أخرى.

ثم أغلقت الهاتف بيأس شديد وهي تبكي قائلة:

- المصائب لا تأتي فرادى، لقد اتصل بي مدير مركز اللغات الذي أعمل بهِ وأخبرني أنني مفصولة، وعندما سألت لماذا؟ وما الخطأ الذي اقترفتهُ؟ أجابني ببرود: لم تفعلي شيئًا، ولكننا نخفف من العمالة، لذا قررنا الاستغناء عنكِ.

ثم وضعت يدها على رأسها وهي تصرخ:

- لقد خسرت أعلى راتب لي، وانهمرت في بكاء شديد، وانكبت بوجهها على المنضدة التي أمامها.

بينما ياسمين تتأملها في نفسها قائلة أشعر بمعاناة الآخرين حتى وإن كانوا هم السبب بها، ولا أستطيع مواساتهم، يخالبني شعور بأن هذا عقاب لها على غرورها، ولا يمكنني البوح لها بذلك الآن وهي في قمة الألم، فقد تظن أنني ألومها، ماذا أفعل مع صديقتي الآن؟

اقتربت منها تحاول احتضانها من دون أن تتحدث، فقالت سمر بصوت مكبوت:

- أرجوكِ يا ياسمين أعرف أنكِ حزينة من أجلي، ولكن أود البكاء والجلوس بمفردي.

سارت الأخرى تهرب من هذه الكآبة التي انكبت عليها من دون سابق إنذار وتفكر في الخروج من القصر لتمشي بعيدًا عن هذا الحزن.

******

سليم يقود سيارتهُ بجنون بدون وجهه محددة لكي يستطيع الهرب من غضبه وحزنه، وذلك الضجيج الذي يملأ عقلهُ وقلبه يقتلهُ، توقف فجأة بالسيارة وصوت عجلاتها بذلك الصرير الذي يصم الأذان ونظر للأمام بذعر..

لقد صدم فتاة بسيارته.

أسرع بالنزول من السيارة يركض نحو الفتاة المنطرحة على الأرض، لقد صدمها من ظهرها ووجهها منكب على الأرض، وبحذر أمسك بها برفق وأدار وجهها الذي لم يكن ظاهرًا لينظر هل هي بخير؟

فزع أكثر بعد رؤية وجهها البريء، وصاح: ياسمين، ياسمين، وهو يحاول إعادتها لوعيها.

راحت تفتح عيونها وتستعيد وعيها وتهم بالنهوض، وهو يقول بأسى شديد:

- أنا آسف، أنا حقًا آسف، لا أعرف ماذا أقول أنا.. أنا..

فردت وهى تمسك برأسها :

- لا تعتذر، فقد كنت أسير شاردة الذهن؛ فانزلقت فجأة في الطريق وأصبحت في منتصفه، أليس هذا ما حدث؟

نظر حولهُ، كيف لم أستطع رؤيتها؟ فالطريق خالٍ تمامًا من أي سيارة أو من أي فرد!

لقد كان الطريق هادئًا، ولكن عقلي مملوءً بالضجيج الذي لم يدع لعيوني مجالًا لرؤية أي شيء حتى ولو كان أمامها مباشرة.

فقالت هي ممازحة بعد أن شعرت بتحسن:

- لا بد أنك سائق بارع؛ لأنني ما زلت على قيد الحياة.

رد في سره، لم أكن يومًا سائقًا ولا كاذبًا، والآن أنا أحاول أن أكون الاثنين معًا، ولكن يبدو أن مهاراتي في الكذب تتطور أكثر من مهارة القيادة!

اكتشف مؤخرًا أنهُ لم يجبها، فقال:

- أرجوكِ دعيني أنقلكِ إلى المستشفى لكي نطمئن عليكِ.

ردت وهي ترتدي حقيبتها:

- لا حاجة لذلك، أنا بخير، فقد اصطدمت قليلًا؛ فوقعت واغشى علي للحظة، هذا كل ما في الأمر.

- إذن هل أوصلكِ للقصر؟

ردت بحزن:

- لا إنهُ كئيب في هذه اللحظة، لا أود العودة إليه، فقد خرجت هربًا منهُ.
نظر بالقرب منهُ حيث يوجد مقعد كبير على جانب الطريق، وقال:

- اجلسي قليلًا لتستريحي.

- بالفعل أود الراحة قليلًا، فأنا أسير منذ ساعة، ولا أعرف إلى أين أذهب حتى وصلت إلى هذا المكان الهادئ، حيث الأشجار على الجانبين.

جلست ووضعت حقيبتها بجانبها وأخذت تنظر للأشجار والحزن على وجهها، وجلس هو عند نهاية المقعد وعلى وجههِ نفس الحزن.

مر وقت ولم يتحدث أي منهما، نظر كل منهما للآخر وفي عيونه نفس التساؤل: لماذا هي حزينة؟ لماذا هو حزين؟

ولكنهُ كان أسرع في الشعور بحزنها، وتذكر الذنب الذي اقترفهُ للتو.وفكر في نفسه.

كنت أتساءل ماذا فعلت؟ ولم أتذكر ما فعلتهُ منذ قليل بتلك الكاذبة، لقد ظلت تفتح أبواب السجن الذي سجنت بهِ شيطاني منذ سنوات حتى فتحتهُ على مصراعيه، فكان أول من وسوس إليَّ بها هي، لا بد أنني عوقبت بابتعاد ياسمين عني بهذا الذنب، وقد جعلني أنسى أمر ياسمين البريئة التي ستلقى معها في الشارع بدون ذنب، يا أللهِ سامحني وسأحبس شيطاني، لا بل سأقتلهُ حتى لا يستطيع أحد أن يخرجهُ من قبره، فقال:

- أعذريني لدقيقة واحدة، سأقوم بمكالمة هاتفية وأعود.

- تفضل، كانت تنظر لهُ وهو يتجه بعيدًا وتتساءل:

- لا بد أن لديه مشكلة ما، فلدى كل واحد منا ما يحزنهُ.

سار بعيدًا واتصل على أُوغلو الذي أجاب:

- مرحبًا.

- أخبرني يا صديقي، لقد قمت بطرد سمر الكاذبة من مركز اللغات، أليس كذلك؟

- بالطبع، لقد طردتها منذ ساعة ونصف.

- وهل طردتها من القصر؟

- لقد أعلمها صاحب القصر بذلك، وأنا الآن معهُ لنوقع عقد شراء القصر.

صاح سليم بلهفة: لا لا، انتظر، لقد غيرت قراري، لا تشترِ القصر، ولا تطردها من مركز اللغات، قم بإعادتها الآن، وأرجوك لا تناقشني في القرار، فهو قرار نهائي.

كان أُوغلو ممسكًا بالقلم وصاحب القصر ينظر لهُ ويقول:

- لم توقفت عن التوقيع يا سيدي؟

أغلق سليم الهاتف، ثم نظر للسماء براحة تامة، فقد كان يخجل من أن يرفع عيونهُ في السماء وهناك ذنب يحيك في صدره ويعكر صفوهُ.

كم هو سيء أن تنتقم، وكم هو جميل أن تسامح على الأقل الخطأ الأول.

عاد لها وكانت لا تزال حزينة ولا يستطيع أن يخبرها بما فعل ليخفف من حزنها، فقال:

- هل هناك أمر ما؟ ربما أستطيع أن أساعدكِ بهِ؟

ردت بخجل:

- أجل، أنا أحتاج للمساعدة، فأنا بدون سمر لا أستطيع أن أقوم بأي شيء، وأحتاج إلى محامٍ يُتِم لي بعض الأشياء القانونية، وأحتاج أيضًا إلى مترجم لأنني لم أتقن التركية بعد، وأعلم أنك لا تتحدث مع سمر، ولكن لا أودها أن تعلم هي أو أي شخص آخر ما سأقوم بهِ حتى أنتهي منهُ.

رد وهو يشير بيديه بثقة تامة قائلًا:

- في غضون دقائق قليلة سيكون لديكِ محامٍ ماهر، ويتحدث المصرية بطلاقة، فقط انتظري قليلًا.

سار بعيدًا واتصل بسكرتيرهُ وقال:

- أرسل لي أحد المحامين ممن يجيدون اللهجة المصرية في دقائق.

لم يسألها لماذا تريدينهُ، فهو يتوقع أنها تود الحصول على الجنسية التركية أو شيء من هذا القبيل.

وهي تتساءل: تصرفاتهُ غريبة ومتناقضة، كيف لسائق مثلهُ أن يأتي لي بمحامٍ في دقائق؟!

عاد إليها وهو يضع يديه في جيوبه، وقال:

- عشر دقائق وسيكون هنا، لقد وصفت لهُ مكان تواجدنا.

- هل يمكنني أن أسأل كيف تستطيع أن تفعل هذا؟

نظر حولهُ يبحث عن إجابة منطقية، أو بالأحرى عن كذبة مقنعة، ثم قال:

- إنهُ صديقي المقرب، ولقد أسديت لهُ خدمات كثيرة من قبل، وهو سيرد لي الجميل الآن، هذا كل ما في الأمر.

ابتسمت ببراءة وقالت:

- هذا رائع، لا شيء أجمل من الصداقة، فسمر صديقتي قد أفادتني ووقفت بجانبي في حياتي أكثر من أي شخص آخر.

رن الهاتف فنظرت لهُ وقالت:

- إنها سمر، لقد حضرت على السيرة، ألو.

ردت سمر:

- مرحبًا يا صديقتي، لقد اتصل بي صاحب القصر وأخبرني أنهُ لن يبيع القصر، وسيمكننا البقاء كما نريد.

أنهت ياسمين المكالمة بسرعة وقالت:

- أحمد هل يمكنك أن تعتذر من صديقك وتطلب منهُ عدم الحضور؟

ظن هو أن للأمر علاقة بالمال، فقال:

- انه صديقتي وسيقوم بالخدمة مجاملة لي، لن يأخذ اموالًا.

- لا ليس الأمر كذلك، ولكن سأطلب من سمر القيام بالأمر، فهي تعلم بهِ جيدًا.

رد وهو يمسك بهاتفه:

- كما ترغبين، أنا أيضًا قد غيرت قراراتي في لحظة.

جلست على المقعد وهي أكثر راحة، كانت قد فكرت منذ قليل أن تدفع كل ما قد ادخرتهُ وتشتري القصر، فتوفر ثمن الإيجار، ويمكنها بيعهُ عندما تبدأ في الاستثمار، ولكن الآن لا حاجة لذلك، أما هو فكان لا يزال يتذكر معضلته، فجلس على الطرف الآخر للمقعد يفصل بينهما حزنهُ.

رن هاتفها للمرة الثانية، نظرت وهي تبتسم:

- إنها سمر، ألو.

فأجابت الأخرى بسرعة:

- لقد اتصل بي مدير مركز اللغات وأخبرني أن قرار فصلي كان بالخطأ، وأنني سأستمر بالعمل.

أنهت مكالمتها بسعادة واكتملت الابتسامة على وجهها.

كانت تراه حزينًا، وخجلت من أن تسألهُ عن السبب، فقالت حتى تمسك بأطراف الحديث معهُ، فقد تعلم سبب حزنهُ:

- كنت أطلبك على الهاتف منذ أيام ولا ترد، هل كنت غاضبًا منا بسبب ما فعلت سمر؟ ألم تقل أنك شقيقنا فكيف تغضب منا؟

رد وهو يبتسم:

- لا، لقد كان الهاتف في غرفتي، وأنا سافرت إلى مصر، ولم أستخدمهُ، وأعتقد أن بطاريتهُ فارغة، لقد ذكرتِني بهِ الآن.

أما هي فقالت بتساؤل:

- مصر! هل سافرت إلى مصر فجأة! لماذا؟

رد يتحدث إلى عقله أريد كذبة أخرى، كذبة أخرى، ثم نطق:

- لقد تُوفي أحد أقاربي، ولذا سافرت إلى مصر.

فقالت هي ببراءة:

- إذن هذا هو سبب حزنك؟ البقاء لله يا أخي، يبدو أنهُ كان شخصًا عزيزًا عليك.

- لستُ حزينًا ما أجل ذلك.

فنظرت لهُ باستغراب شديد وقالت:

- لست حزينًا من أجل وفاته؟!

- نعم أنا حزين.. لا لست حزينًا.. أقصد.. إنهُ كان طاعنًا في السن، فلقد بلغ المئة عام، كان من الطبيعي أن يموت، أليس كذلك؟

فقدت السيطرة على عواطفها وقالت:

- إذن لماذا أنت حزين؟ فلم أرَك حزينًا هكذا من قبل!

ظهر الحزن على وجهه أقوى وقال:

- أنا حزين بسببها، فعندما كنت في مصر حاولت الوصول إليها وفشلت.

تقوص حاجبيها وقالت

- من تقصد بكلامك؟

نظر لها مستنكرًا وقال

- كيف تسألين سؤالًا كهذا؟ أنا أقصد ياسمين المصري، ألم أخبرك من قبل أنني أحبها وأرغب في الزواج بها؟

اخفضت ناظريها عنه ونظرت إلى الجانب الآخر في خجل واستعادت خدودها حمرتها وانسحبت من الحديث، فقال بتعجب:

- لماذا صمتِّ فجأة؟ قولي أي كلمة، فأنتِ فتاة مثلها، ربما تنصحينني بما يفيدني.

يا لله، ماذا أقول؟ هكذا فكرت في خجل

ثم نطقت:

- ماذا لو كانت أكبر منك سنًا؟

- العمر مجرد رقم، وما يجعنا أجمل هي تلك الروح التي تسكنهُ، وأنا أعشق روحها، وأشعر بها بالقرب مني، على الرغم من بعدها عني.

نظرت للأشجار الجميلة بإبتسامة، ثم تابعت:

- ماذا لو كانت قبيحة؟

- ما يهمني هو جوهرها، أحبها حتى ولو كانت قبيحة الوجه، فهي جميلة العقل والفكر.

شعرت بالخجل يلمس قلبها بعمق، فنهضت من مقعدها و قالت:

- لقد تأخرت، سأعود إلى القصر.

حاول اللحاق بها وهو متعجب من ردة فعلها، وقال:

- دعيني أوصلكِ للقصر.

أشارت بكلتا يديها قائلة

- لا أرجوك، أود أن أسير بمفردي.

عاد لسيارته يفكر في ردة فعلها الغريبة، ثم انشغل عنها بتفكيره في ياسمين.

****

ثلاثة رجال جالسون في مكتب ضخم وخلفهم علم أحد الدول، أحدهم تبدو ملامح وجههِ صارمة للغاية، والاثنان الآخران يبدو عليهما الانزعاج، وقال أحدهم بلهجة غريبة لا تدل أنهُ مصري:

- لم يعثروا عليها في شقة عائلتها القديمة أو الحالية، وتركت عائلتها الشقة بعد زيارة الشرطة لها، ولا نعلم إلى أين اتجهوا.

فرد الثاني الذي كان غاضبًا:

- والدتها تقول إنها ذهبت إلى ألمانيا، وأعتقد أنها هربت بالفعل، فهل نبحث عنها باستخدام موظفينا في سفارتنا في ألمانيا؟

نظر الاثنان إلى الرجل ذي الملامح الصارمة الذي كان يشرب سيجارتهُ، يبدو أنهُ أعلى منهما في المنصب، ثم وضع السيجارة وقال:

- من خلال خبرتي في المخابرات في مطاردة الهاربين أستطيع أن أخمن أنها لم تذهب إلى ألمانيا، فليس من الذكاء أن تهرب إلى ألمانيا ثم توشي بها والدتها بهذه السهولة، إنها هربت إلى مكان آخر.

فرد واحد منهما:

- إذن فهل نتصل بأحد هؤلاء الذين يعملون في شركات الطيران ليبحث عن اسمها في رحلات الطيران؟

أجاب الرجل ذو الملامح الصارمة:

- أجل، ولكن لا تبحث في الدولة التي اتجهت لها بعد خروجها من مصر مباشرة، لأنني أتوقع أن هروبها ماكرًا، فهي ستتجه إلى دولة ما، ثم

منها ستتجه إلى الدولة التي ستقيم بها حتى تضلل من يتتبعها، فهذه الفتاة إما ماكرة أو خلفها أحد ماكر يخطط لها، ألم ترَ كيف هربت من قبل أن نبدأ في البحث عنها؟

أومأ الاثنان برأسيهما كتعبير عن الإعجاب بذكاء ذلك الماكر.

فأكمل ذلك الماكر:

- ألم يجد ذلك الضابط المرتشي الذي كلفناه بالقبض عليها بشكل غير قانوني أي خيط يسهل علينا البحث عنها؟ فنحن لن نبحث مرة أخرى من البداية عنها في تلك الدولة التي هربت لها، فقد ظللنا لوقت طويل نبحث عنها في مصر بسبب غموضها المبالغ بهِ.

لم ينهِ هذا الصارم كلماتهُ حتى رن هاتف أحد الرجلين، فنظر للهاتف وقال: إنهُ ذلك الضابط المرتشي، وأجاب ثم أمسك بأجندة صغيرة وكتب بعض البيانات، ثم أغلق الهاتف وهو قال بدهاء:

- لقد عثر الضابط على ورقة كانت والدتها تحتفظ بها في علبة الذهب، وكانت مكتوبة بلغة ما، وعندما بحث عنها وجدها التركية، وبعد أن ترجمها وجد بها بيانات هذا الشاب المصري المقيم بتركيا.

وأعطى الورقة للرجل الصارم الذي ابتسم كالذئب وقال:

- لقد اختصر علينا طريق البحث، ابحثوا عنها هنا أولًا، فسنجدها بالقرب منهُ بكل تأكيد، وإذا لم نجدها سنعود للطريقة السابقة بالبحث عنها، ولكن كونا حذرين فهو رجل أعمال مهم، والصحافة تبحث عنهُ،

لقد سمعت عنهُ من قبل،شخص غامض لدرجة كبيرة ويحافظ على خصوصيته بعيدا عن الصحافة.

الفصل الثالث

دخلت إلى غرفتها وهي تفكر: هل يمكن أن يكون هذا حقيقي؟ شاب لم يراني يومًا وأحبني فقط بسبب كلماتي! بل وقرر الزواج بي! لم يفكر كيف يبدو وجهي! ربما أكون قبيحة.

تشعر بتأنيب الضمير، فكم مؤلم لك كإنسان رقيق المشاعر عندما تعلم أنك لشخص آخر كل حياتهُ وأن سعادته لن تكون إلا بالقرب منك! وأنت لا تشعر به وتعتبره آخر اهتماماتك!

يريد الزواج مني، هل أنا مستعدة للزواج؟ هل أنا على استعداد لأن أشاركهُ حياتهُ ويشاركني حياتي إلى الأبد؟

فبعد مرور الكثير من السنوات والخبرات وجدت الزيف في العديد من الأشخاص الذين لا يدركون هذا الأمر، ويتزوجون من أجل أشياء تافهة أخرى لا تستحق أن نشوه هذه العلاقة الجميلة من أجلها.

الزواج.. لم أفكر بهِ من قبل، فهناك الكثير مما كان يشغلني عن التفكير بهِ؛ عائلتي، وعملي، وتحسين حياتنا من نواحٍ عدة، هو آخر اهتماماتي أنا، بينما هو أول اهتماماتهِ هو.

كم يحدث في حياتنا هذا الأمر عندما يكون شخص ما لا تشعر بهِ ولا تهتم لأمره وهو آخر ما تفكر بهِ، بينما هو يعتبرك كل حياتهِ ويبحث عنك في كل لحظة ليكون بالقرب منك؟

يدعوني شقيقتهُ وأنا غريبة عنهُ تمامًا، ويساعدني بقدر المستطاع، يفعل كل هذا على اعتبار أنني غريبة، فماذا سيفعل عندما يعلم أنني تلك الفتاة التي يبحث عنها؟

هل سيفرح لعثوره عليَّ؟ أم سيتألم عندما يعلم أنني كنت أعلم أنهُ يتألم من أجلي ولم أخبرهُ أنني هنا بجانبه وليس عليه البحث بعيدًا؟

كبعض البشر تكون السعادة بالقرب منهُ، ولكنهُ يتركها ويبحث عنها بعيدًا في مكان آخر، ويظل باقي حياتهُ بدون العثور عليها، فهو يبحث في المكان الخاطئ.

فتحت سمر باب الغرفة وقالت:

- كنت قلقة عليكِ، فقد تأخرتِ ولم تعتادي الخروج بمفردك، وأنتِ كالطفلة ، أين كنتِ كل هذا الوقت؟

- كنت أسير في الشارع إلى أي مكان تأخذني أقدامي، ثم صدمتني سيارة، شهقت سمر فتابعو ياسمين :ولكن ليس بعنف، فقد دفعتني للجانب فقط، هل تستطيعين تخمين من السائق؟

تجمدت سمر في سيرها بالغرفة وقالت:

- أرجوكِ لا تخبريني أنهُ السائق أحمد.

- يا لكِ من ذكية.

أكملت سيرها في الغرفة وقالت:

- يا لهُ من غبي، لا أفهم كيف يعمل كسائق وقيادته سيئة للغاية.

ردت ياسمين وهى تزيل خصلات شعرها للخلف

- على سيرة أحمد، ألا يذكرك ما حدث بشيء ما؟

اقتربت منها وهي تضم يدها اليمنى إلى اليسرى وقالت:

- كنت أنوي الاعتذار منهُ، فما حدث معي اليوم جعلني أشعر بالذل من شخص أقوى مني، لن أتكبر ما بقي من حياتي.

راق هذا الكلام لياسمين، ولكنها انتهزت الفرصة فأكملت:

- وماذا عن كذبتكِ الكبرى؟

ضحكت وقالت:

- لقد تخليت عن الغرور، وعندما أُنهي كذبتي سأتخلى عن الكذب.

- لن تنتهى كذبتكِ بمفردها، وستسير بكِ في طريق مجهول، عليكِ أنتِ أن تقومي بإنهائها.

- دعكِ من الكذب الآن، في الغد ستتصلين بأحمد بحجة إيصالك إلى مكان ما، وأنا سأعد لهُ غداءً من الفراخ واللحوم بخلطتي السحرية لكي أصالحهُ بعد الاعتذار، فالفقراء لا يتمتعون بهذا النوع من الرفاهية، وسيسعد بهذا الغداء.

ردت ياسمين وهي تنظر للأعلى وكأنها تتذكر شيئًا من الماضي، ثم قالت:

- أجل عندما كنا فقراء لم نكن نتناول الفراخ في المطعم إلا مرتين في العام؛ الأولى عندما كنا ننجح بتفوق في الفصل الدراسي الأول، وكذلك المرة الثانية عند نهاية العام، لا أزال أتذكر سعادتي وأنا أتناول الفراخ بدون عناء تنظيفها وطبخها الذي كان يرهقني، وكنت أشعر عندها أنني أثرى امرأة في العالم.

ردت الثانية وهي تنظر إليها وقالت:

- لذا أسعى أن أكون ثرية لأظل في راحة تامة ما بقي من حياتي.

- مهلًا يا سمر، أين سيتناول الغداء؟ فليس من المفترض أن يدخل القصر.

- أعرف أيتها الصعيدية، لذا سأجعل الغداء في الحديقة، فهي مكان مكشوف.

******

كان جالسًا في قصره هو وصديقهُ يتحدث بضيق قائلا:

- إذن فقدت أثرها ربما للأبد.

فلم يجب صديقهُ، بل أراد أن يخفف من حزنه فقال:

- ربما لو قبلت الزواج بك كانت ستقبل بك كشخص ثري وقد تظن أنك تود الزواج منها فقط من أجل شهرتها.

تنهد ثم تابع:

- أخبرني يا سليم لو لم تكن بنفس الشهرة كنت سترغب في الزواج بها؟

نظر لصديقهُ باستنكار وقال:

- هل تعلم لو كانت ياسمين فتاة عادية لا يعرفها أحد وقابلتها فأقسم أنني كنت سأعشقها وأتزوجها، ولو وضعوها وسط مليون فتاة لدلني قلبي عليها.

انبهر صديقه من قوله ولمعت عيونهُ وقاب:

- إذن فهذا هو الحب الحقيقي الذي كنت أظن أنهُ مجرد أكذوبة كبرى.

فأكمل سليم:

- ما جعلهُ يبدو كأكذوبة كبرى هم الذكور الذين يستخدمونهُ لاستغلال الفتيات.

نظر لحظات لهاتفه، ثم قال:

- أود أن أعرف قصة ياسمين، ولكنها أكثر غموضًا، فلا أعرف سوى اسمها، بالأمس كدت اكتشافها، ولكنها هربت في اللحظة الأخيرة.

نظر لهُ صديقهُ وقال: كيف هذا؟

- لإنها بالأمس طلبت مني محاميًا، ثم تراجعت في اللحظة الأخيرة. أتوقع أنها مهاجرة تسعى للحصول على الجنسية أو ما شابه.

- ولماذا تود أن تعرف عنها أكثر؟

طرق بيده على الطاولة أمامهُ وكأنهُ ينعش عقلهُ ليجد إجابة، ثم قال:

- أنا حقًا لا أعلم، ولكنها فتاة في قمة البراءة.

اعتدل صديقهُ في جلسته بعد أن كان متكئًا وقال:

- إذن، فهذا طريقك لمعرفتها، اعرض عليها عملًا أو تسهيلات كالحصول على الجنسية وما شابه، وعندها تستطيع اكتشافها.

مد يدهُ يصافح صديقهُ وقال:

- يا لك من عبقري، وبسرعة أمسك بهاتفه فرن الهاتف برقمها، فضحك وقاب:

- دائمًا تأتي على السيرة، إنها تطلبني، وأجاب بسرور ألو.

*****

بعد قليل وصل إلى القصر ولم تخرج لهُ، فاتصل على هاتفها فأجابت:

- مرحبًا أحمد، لستُ جاهزة للخروج بعد، أرجوك تفضل إلى الحديقة، لا تنتظر بالخارج رجاء.

جلس على المقعد بداخل الحديقة فرآى سمر قادمة من بعيد، فأشاح وجههُ عنها، فوقفت أمامهُ وقالت:

- كيف حالك؟

فلم يرد فأكملت:

- أنا آسفة على ما بدر مني، أرجوك سامحني.

صمتت لحظة، ثم قالت: يا أخي.

نظر لها غير مصدق أنها تخلت عن غرورها، وقلبهُ يردد بداخله "من الممكن أن تنتقم، ومن الأجمل أن تسامح، على الأقل الخطأ الأول".

ظنت هي أنهُ ما زال غاضبًا، فأكملت حديثها:

- تقول إن كل الفتيات شقيقاتك، ألا تستحق أحداهن أن تسامحها على خطئها؟

ابتسم بصفاء وقال:

- إذا كنتِ تعتبرينني شقيقك حقًا إذن فأنا لا أغضب من شقيقتي، ولستِ بحاجة إلى طلب السماح .

ابتسمت أكثر وقالت:

- وأنا أدعو شقيقي للغداء، ولن أقبل بالرفض، لا تقلق لن نأخذ من وقتك، إنهُ جاهز، فلقد أحضرت من أجله أفضل طباخ في إسطنبول، أعدك أنك ستتذوق طعامًا لم تتذوقه طوال حياتك لحظة واحدة، وسيكون الغداء هنا.

وانصرفت وعقلهُ يقول لهُ:

- إن شقيقها طباخ، بالطبع علمها فنون الطهي، أو طلبت منهُ إعداد الطعام لها، أتعجب كيف هي ماهرة في ترتيب كذبتها هكذا وتجيد استخدام كل الأشخاص، هل تستطيع ترتب حياتها بنفس المهارة بكل الجوانب؟

يكذب المرء بلسانه، وتظل أفعاله على حقيقتها، فنظرًا لأنها فقيرة فتظن أنها ستنسيهِ خطأها بوجبة طعام، وهو يسايرها في كذبتها حتى لا يفضحها أمامهُ.

جاءت بالطعام ووضعتهُ على الطاولة، فقال: أين ياسمين؟

- ستأتي بعد تناولك الطعام لإلقاء التحية.

كان ينوي أن يتناول قطعة صغيرة حتى لا يحرجها، ولكنهُ ما كاد يتذوق الدجاج حتى وجد شهيتهُ قد فتحت، فمذاقهُ لذيذ، لم يتناول مثلهُ من قبل!

فأخذ يجرب كل الأطباق التي أمامهُ، جميعها تشترك في شيء ما لا يستطيع تمييزهُ، ولكن شهيتهُ تعلقت بهِ.

لقد أنهى الأطباق على آخرها حتى خجل مما فعل وكأنهُ طفلٌ لم يستطع أن يتحكم في نفسه أمام الحلوى المغرية.

وصلت كلتاهما، وألقت ياسمين التحية، ثم قالت سمر:

- لا أستطيع أن أحدد، هل تعمل في الشركة كسائق في وردية صباحية أم مسائية؟ فنحن نطلبك في المساء فتأتي، وطلبناك في بعض الأوقات صباحًا فأتيت..

كذبة.. كذبة.. أريد كذبة، هكذا فكر ثم رد وهو يتلعثم في الحديث :

- أنا.. أعمل.. آه.. لقد نسيت أن أخبركما، إنني تركت العمل في الشركة منذ وقت طويل.

نظرت لهُ كلتاهما نظرة لم يستطع تفسيرها، وكأنهما لا يفهما ما قد قال، أو ربما كلامه غير منطقي، فقال هو: لماذا تصمتان هكذا؟ استمرت كلتاهما في النظر لهُ بنفس النظرة، ثم نظرت كل منهما للأخرى وكأنها تسأل: هل تلاحظين ما ألاحظ؟

ثم قالت سمر بتركيز واضح في كلماتها ونظرة عيونها لهُ:

- إذن فقد تركت العمل في الشركة منذ وقت؟

رد وهو يومئ برأسه:

- نعم، لقد تركت العمل بالشركة.

فقالت سمر وهي تشير إلى باب حديقة القصر:

- إذن فسيارة مَنْ هذه الفارهة التي جئت بها؟!

صفع جبهتهُ بيدهُ وقال في سره: السيارة! في كل مرة تكشف كذبي! لا أفهم كيف تستطيع هي الكذب بدون أن أوقع بها، بينما كلتاهما تستطيعان الإيقاع بي بمنتهى السهولة؟

هما لا تزالان تراقبان تصرفاتهِ الغريبة وكأنهُ كائنٌ فضائيٌّ غامض، فنظر إلى ياسمين وقال:

- أخبرتك من قبل أن أحد أقاربي تُوفي أليس كذلك؟

ردت بغرابة: أجل، ولكن ما علاقة هذا بما نتحدث عنهُ الآن؟

أشار بيده للسيارة وقال:

- لقد كان ثريا فترك لي جزءًا من أمواله، واشتريت بهِ هذه السيارة لكي أعمل عليها كسائق لحسابي الخاص. ونظر إلى سمر وقال: سأخفض لكما الأجر من الآن فصاعدًا.

انبهرت سمر وقالت وعيناها تتسعان:

- إذن أنت الآن تملك هذه السيارة الجميلة! يا لك من محظوظ!

فقال هو ممازحًا:

- بالطبع الأمر لا يبهركِ؛ لأن صديقكِ لديه أسطولًا من السيارات الفارهة.ر

ردت في نفسها:

- لا أستطيع نسيان كذبتي في حضوره؛ لأنهُ يذكرني بها دائمًا في كل دقيقة.

فقطع تفكيرها قائلا:

- ياسمين ما هو عملك؟

توترت وتساءلت في سرها بماذا سأجيبهُ؟ ولا أحب الكذب، ثم قالت:

- لماذا تسأل عن عملي؟

- من الممكن أن أستطيع مساعدتك إذا أردتِ عملًا.

تخشى أن تجيب، ولا يمكنها الكذب.

فأجابت سمر بسرعة:

- لقد تخرجت في كلية الآداب قسم لغة عربية، وهي لا تعمل الآن.

ظهر الانشراح على وجهه أكثر وقال:

- لدي صديق صاحب مدرسة خاصة، أستطيع أن أتحدث معهُ ليوفر لكِ عملًا كمدرسة للغة العربية، ما رأيك؟ صمتت ونظرت لسمر طالبة للمساعدة، فقالت سمر بسرعة:

- كما ترى تبدو كطفلة صغيرة خجولة، فلا يمكنها أن تشرح كلمة واحدة أمام الطلبة.

- لا مشكلة، أستطيع أن أجد لها عملًا في إحدى الشركات.

ثم دار بعيونه يفكر كيف يبرر الأمر أكثر، فقال:

- لدىَّ صديق آخر اسمهُ أوغلو، والدهُ تركي، ووالدتهُ مصرية، ويعمل مديرًا لشركة عملاقة.

نظرت لهُ ياسمين وسمر، ما هذا الشاب! يصر على ملاحقتي ولا أود أن أكشف نفسي أمامهُ، ولكن سمر كقناص بارع تستطيع رؤية الفرص وانتهازها، فقالت بسرعة وكأنها تخشى أن يتراجع عن عرضه:

- كم هذا رائع! أنا أرغب في هذا العمل، يمكنك مساعدتي في الحصول عليه.

أردت اكتشاف ياسمين فأوقعت بي سمر، يا أله! قالها في سره ثم رد ليتهرب منها:

- فتاة ثرية مثلك ترغب في عمل! هذا غريب!

أربكها تعليقهُ بعض الشيء، وبسرعة البرق قالت:

- أنا لدي قدر كبير من الأموال أود استثماره، لذا أرغب في أن اكتسب الخبرة أولًا حتى أستطيع إدارتهُ عندما أبدأ مشروعي الخاص ، اعتقد ان هذا العمل مناسب لي، خاصة لو كان في الإدارة، كما أنني ماهرة في التسويق، وأتحدث التركية والإنجليزية بطلاقة، بالإضافة إلى أنني تخرجت مع ياسمين في نفس الكلية، أي أنني أتقن العربية.

كيف أهرب منها؟ هكذا كان يفكر.

نظر في الساعة وقال:

- لدي ميعاد مهم، عليَّ المغادرة إلى اللقاء.

وقبل أن ينطلق بسيارته بدأ نقاش حاد اللهجة بين الفتاتين، وياسمين تقول:

- كل خبراتك في اللغات أو التدريس والتسويق، فماذا ستعملين في الشركة؟

- أستطيع أن أتعلم في فترة قصيرة، أليست هذه موهبتي كما ذكرتِ من قبل؟ والرواتب في الشركات مرتفعة، لذا سأحقق دخلًا أفضل، بالإضافة إلى أن هذا العمل سيجعلني أختلط برجال الأعمال.

ردت ياسمين بوجه متكدر

- ومن أين ستجدين وقتًا لهذا العمل؟

- عندما أحصل على الوظيفة سأترك العمل في المدرسة.

ردت ياسمين وهي تسير في اتجاه باب القصر:

-سيحرج نفسهُ مع صديقه ليتيح لكِ هذا العمل، فأرجوكِ لا تكوني سببًا في إحراجه مرة أخرى بارتكاب الأخطاء في العمل لا تفقهي به شيئا.

غادرت سيارتهُ من أمام القصر، وعند نهاية القصر بجانب الصور كانت تقبع سيارة سوداء كخنفساء تتجسس لصالح عقرب ما قد أرسلها، سيارة سوداء مغلقة النوافذ لا يظهر منها أي شيء، حتى وجه السائق وبداخلها

رجلان يرتديان بدلات ونظارات وقفازات سوداء وقال أحدهما: عندما جمعنا عنهُ معلومات وقمنا بمراقبته منذ عودتهُ من مصر فلم نرَ معهُ أي نساء إلا هاتين الفتاتين، فلنبحث عنهما، فقد تكون واحدة منهما هي ياسمين المصري.

اتصل واحد منهما بالرجل ذي الملامح الصارمة، وقال:

- سيدي إننا نراقبهُ منذ أن أمرتنا، ولم نره مع نساء إلا اليوم، رأيناه قد حضر لمقابلة فتاتين في أحد القصور.

رد الرجل:

- إذن أرسل لي عنوان سكنهما، والتقط لهما صورًا لنرى، فقد تكون واحدة منهما هي ياسمين المصري.

أخرج أحدهما كاميرا متطورة، وظل يقترب من باب القصر بحرص حتى التقط لهما صورًا يظهر فيها وجهيهما بوضوح.

الفصل الرابع

كانت ياسمين نائمة في غرفتها وعلى سريرها تتقلب وتضطرب أنفاسها وكأنها تقاوم شيئًا يخنقها، يراودها كابوس لا تستطيع أن تهرب منهُ،

ترى نفسها مرتدية ثوبًا أبيضًا، ولكنها في غابة موحشة لا أحد هناك غيرها مع تلك الأشجار الميتة والصمت الرهيب ومن بين أغصان الأشجار خرج سرب من الخفافيش السوداء بعيون حمراء، ارتعبت منها وركضت بعيدا عنها ، ظلت الخفافيش تطاردها في كل مكان، وهي تصرخ وتهرول هنا وهناك، فجأة تعثرت قدمها وسقطت على الأرض، فإنكبت فوقها الخفافيش على الأرض وهى تصرخ تحاول النهوض وتشيح بيدها حتى تبعد الخفافيش عن وجهها ، فشعرت بيد أحدهم تمسك بها وتهزها بعنف، فزعت، وقفزت من الفراش وهي تصرخ.

رأت فوقها وجهًا اسود في الظلام يحدق بها فصرخت بشكل أعنف ويتصبب العرف فوق جبينها، فمد ذلك السواد يده فأضاء نور المصباح فتبينت أنهُ وجه سمر، وهي تقول لها:

- ياسمين استيقظي، ماذا بكِ لماذا فزعتِ هكذا وأنا أوقظك؟

ردت وهي تتناول كوبًا من الماء وتأخذ نفسًا عميقًا:

- لقد كان كابوسًا مرعبًا، شكرًا لأنكِ أيقظتِني، كيف علمتِ أنني كنت في كابوس؟

- لم أكن أعلم حتى صرختِ في وجهي ، الأمر فقط أن والدتك.. فصرخت ياسمين وقاطعتها قائلة ماذا بها؟ هل حدث لها مكروه هي أو إخوتي؟ هيَّا أجيبيني.

مدت يدها تهدئها وتمسك بها برفق وقالت:

- لم تعطني فرصة لأكمل حديثي، إنها فقط تود التحدث معكِ في شيء مهم ، الجميع في انتظارك.

ذهبت ياسمين بسرعة إلى اللاب توب وجلست والجميع أمامها، وجوه الجميع لا تبشر بخير، وبسرعة سألت: ماذا هناك يا أمي؟

- ابنتي، هل تذكرين عمك محمد الذي حذركِ من قبل من أنهم سيطاردونكِ بعد روايتك الأخيرة؟

- أجل يا أمي ما بهِ؟ هل حدث لهُ مكروه؟

- لقد جاء اليوم وأخبرني أنهُ علم بمصادره الخاصة أن أحد الضباط الفاسدين قد توصل لمعرفة شخص قريب منكِ للغاية، وأنهم سيصلون لكِ من خلاله، فاحترسي من أي شخص قريب منكِ.

ظهر التوتر على وجهها وهي تفكر بذلك الكابوس منذ قليل، والذي استيقظت منهُ على كابوس حقيقي لا تستطيع الاستيقاظ منهُ.

ثم لاحظت توتر عائلتها فقالت:

- لا تخافي يا أمي، فلا أحد يعرفني هنا إلا سمر، وأنا آمنة والحمد لله.

ردت والدتها بغضب وهي تلومها:

- ما كان عليكِ كتابة هذه الرواية المشؤومة، هل حسبتِ أنهم لا يعلمون ما يحدث على أرض الواقع لتكتبِي عنهُ رواية؟

- أمي علمهم بما يحدث على أرض الواقع وصمتهم عليه أسوأ من عدم معرفتهم بهِ، فهذا عذر أقبح من ذنب.

ازدادت نبرة صوت والدتها أكثر حدة وقالت:

- والآن أنتِ منفية في دولة غريبة.

- أنا منفية وجميعهم مسجونون في أوطانهم، وقد أصبح الوطن لهم سجن كبير.

النقاش يزداد حدة بينهما دون فائدة تُرجى منهُ، فمالت ياسمين إلى تغيير الحديث، فما أسوأ أن تكون نادمًا وتتألم ويأتي أحدهم فيلومك ليجعلك تتألم أكثر، وكأن ما لديك من حزن لا يكفي، وكأن لومهم لك سيصلح ما قد وقع.

أنهت ياسمين محادثتها واتجهت بسرعة طالبة النجدة من سمر وما كادت تنهي حديثها حتى صاحت سمر:

- كنت متشككة بهِ من البداية، وأنتِ تدافعين عنهُ.

نظرت لها ياسمين وهي لا تفهم أي شيء فسألت:

- عمن تتحدثين؟

ردت وقد وقفت من مكانها:

- إنهُ السائق أحمد.

ردت ياسمين بدهشة:

- ماذا؟ أحمد!

- أجل، ومن يكون غيرهُ، فهو من يبحث عن ياسمين المصري بلهفة، وكل شيء بهِ غريب لا يدل أنهُ سائق، ألم تلاحظي ملابسهُ الغالية، ومواعيده الغريبة، وسياراتهُ الفارهة.

ظهر عدم الاقتناع على وجه ياسمين وقالت:

- إنكِ تكرهينهُ من البداية، ولذا فهو المناسب لهذا الشك بالنسبة لكِ، أنا لا أشعر بأن هذا الاتهام حقيقي، ودعينا نتأكد من الأمر.

ردت سمر ساخرة منها:

- عندما نتأكد من الأمر ستكونين قد قتلتِ أو تم اختطافك، ألا تلاحظين؟ لا أحد قريب منا هنا إلا هو.

ظهر التوتر على وجه ياسمين وقالت:

- إذا كان هو بالفعل فماذا سنفعل وهو يعرف عنوان سكننا وأرقام هواتفنا؟

ثم قالت وهي تحاول أن تجد أي شيء يثبت خطأ سمر:

- لو كان هو لكان الأمر قد تم بالفعل.

حدقت بها سمر وقالت

- لم يحدث هذا لأنهُ لم يعرف من هي ياسمين المصري بعد.

يا أله إنها تجد جوابًا لكل شيء أنطق بهِ، زفرت وقالت لتنهي الحديث الذي يضايقها:

- وماذا سنفعل الآن؟

أمسكت سمر بهاتفها وبدفتر أبيض وهي تفكر ثم قالت:

- صديقتي المقربة ستتزوج بعد شهر، وقد عرضتُ عليها تنسيق الزفاف لأنني اقترحت عليها أفكارًا تختلف عن تلك الموجودة هنا، وقد أعجبتها، والزفاف سيتم في فندق يمتلكهُ والدها، ولذا سأذهب للإقامة بالفندق من أجل ترتيب الزواج هناك، وأنتِ ستأتين معي.

ردت ياسمين تحاول إيجاد أي عقبات في الأمر فقالت:

- ومن أين سندفع تكاليف الإقامة؟ فقد تستهلك ما نكسبهُ طوال العام.

أخذت سمر تنسق شعرها وهي تقول:

- هي لن تأخذ تكاليف إقامة لأنني لن آخذ ثمن ترتيب هذا الزفاف، وسأقيم بالفندق لتجهيزه للزفاف، وهي صديقتي، وثرية، والأثرياء لا يفكرون في مشاكل المال مثلنا.

ظهر الحزن على وجه ياسمين، فإلى متى ستهرب؟ وتتساءل مع نفسها: ماذا بعد انقضاء الشهر؟

سمر لا تود أن تترك لها فرصة للتفكير في الأمر فقالت:

- لا داعي للشعور بالخجل، فالجميع يفعلون نفس الأمر، ولن يفكروا بنفس الطريقة التي نفكر بها نحن.

قالت ياسمين بضجر:

- وماذا بعد انقضاء هذا الشهر؟ أين سنقيم؟ استدارت سمر لها بعد أن نسقت خصلات شعرها وقالت:

- بعد انقضاء الشهر سيكون الأمر قد ظهر على حقيقته، هل أحمد هو الجاسوس أم لا، فلو كان الجاسوس سيبحث عنا، وسوف نزيل خطوط هواتفنا التي يعلمها، فقد يراقبونها.

ياسمين بارعة في الكتابة، ولكن قلة خبراتها لا تجعلها تستطيع التصرف في مواقف مختلفة، فكل ما تمتلكهُ هو خيال وقلم مبدع على الورق، على النقيض من صديقتها، فلم تعلم ما ينبغي عليها فعلهُ؛ فاستسلمت لرأي سمر.

جهزت كلتاهما حقائبها، وانطلقتا في اتجاه الفندق يلحق بهما الشبح الأسود، فبعد تأكدهم من أنها ياسمين كانوا ينتظرون الفرصة المناسبة للانقضاض عليهما، ستة أفراد داخل السيارة السوداء، وقال أحدهم:

- لماذا تتبعهم؟ فقد يلاحظوننا، كما أن الانقضاض عليهما هنا في داخل القصر أسهل من مطاردتهما في الطريق.

نظر الثاني لهُ بنظرة استحقار لما يقول ثم رد:

- أيها الأبله، ألم تلاحظ الحقائب التي يحملونها؟ إنهما ذاهبتان للإقامة في مكان آخر، وإذ لم نلحق بهما سنفقد أثرهما، وسنحتاج للبحث من جديد.

ظلت السيارة تتبعهما كالشبح الذي يراقب بعيونه الماكرة دون أن تراه عيون الناس البريئة، فمثلهُ لا يجيد العيش إلا في الظلام، فلا يخرج لعالم النور يومًا، فكل أفعالهُ في الخفاء.

****

ينظر لهاتفه في سيارته وهو جالسًا بالمقعد الخلفي عائدًا لقصره، وبجانبه صديقه يراقبهُ عن قرب، ثم يتساءل:

- سليم لماذا لا تبدو على طبيعتك؟

استمر الثاني في صمته فتابع صديقهُ:

- منذ أسبوعين تبدو كأنك فقدت جزًء من روحك.

نظر له وقال في حزن:

- أشعر أنني أفقد أثرها وتبتعد عني.

- لماذا؟

- لقد توقفت ياسمين وسمر عن الاتصال بي، وسمر كانت الخيط الأخير للوصول لها.

- هل تشاجرتما مجددًا؟

- لا بل أصبحتا تثقان بي، وسمر لطيفة معي .

رد أوغلوا بتلقائية:

إذن اتصل بهما أنت بأي حجة.

رد بإحباط في نبرة صوته:

- لقد فعلت، وهاتفهما مغلق من وقتها.

- لا مشكلة يا صديقي، اذهب إلى قصرهما بحجة الاطمئنان عليهما.

رد بيأس:

- لقد ذهبت ولم أجدهما، وعندما سألت أحد الجيران لم يعلم عنهما اي خبر فهما غريبتان عن المنطقة ، بينما أخبرني أحد العاملين أنهُ رآهما يرحلان مع حقائبهما منذ عدة أيام

حاول أُوغلو التخفيف عنهُ فقال:

- صديقي سنجد وسيلة أخرى للوصول إليها، فلا تحزن.

رد بوجه متكدر

- لست حزينًا، لكن منذ أن ابتعدتا عني اقترب مني شعور بالوحدة، كما أنني أرسلت لياسمين المصري العشرات من الرسائل على الإيميل وعلى حساباتها ولم تجب على رسالة واحدة من هذه الرسائل، ألا أستحق أنا أن تجيب على رسالة واحدة؟

ضحك صديقهُ بتحفظ حتى لا يظن أنهُ يسخر منهُ، وقاب:

- من الطبيعي ألا ترد، فجميع الذكور يستخدمون نفس الطريقة للإيقاع بالفتيات واستغلالهن، ثم تركهن منفطرات القلب.

غضب سليم من قوله، ولكنهُ تمالك نفسهُ ونظر لهُ معاتبًا بعيونه وقال:

- أنت تعلم أنني رجل، ولا أود استغلالها، بل أرغب بالزواج بها.

رقق أُوغلو من نبرة صوته وقال:

- أعرف ذلك، ولكنك تتبع نفس طريقة الذكور، فكيف ستستطيع تميزك كرجل من بينهم؟

نظر بعيونه للنافذة وهو يفكر في كلمات صديقه الحكيمة، ثم قال:

- أنت محق، ولكن لا أعرف لها مسكنًا فأطلبها للزواج كما فعلت من قبل، وكأنها تسكن في عالم آخر ما بين البشر والملائكة.

*****

ظل الشبح الأسود قابعًا يراقب الفندق بعيون ماكرة غاضبة، فقد ظنوا أنها ستعود خلال يوم أو اثنين، هذا هو المتوقع لمن ينزل في فندق تكلفة إقامتهُ مرتفعة هكذا. وإن كانوا ماكرين فالقدر يدافع عن الأبرياء؛ فيقلب لعبتهم لتفسد مكرهم بخطأ صغير لم تره عيونهم، رن هاتف كبيرهم فأجاب أحدهم:

- ألو.

رد الرجل ذو الملامح الصارمة بغضب:

- ألم تستطيعوا أن تمسكوا بها حتى الآن؟

كثعلب ماكر يخشى من الذئب الذي هو سيدهُ وأشد مكرًا وقوة، هكذا كان موقف ذلك المجرم الأحمق عند الحديث مع سيدة، حيث أجاب بخوف وذل:

- سيدي، إنها لم تغادر الفندق منذ أن دخلتهُ، حتى إنها لم تخرج لحديقة الفندق، ولا يمكننا تنفيذ المهمة هنا، فالفندق مليء بالنزلاء.

أنهى الذئب الماكر المكالمة بغضب، ونظر الثعلب حولهُ فوجد السيارة محاطة بالشرطة التركية من كل جانب.

حدق الستة لبعضهم البعض في صدمة ما الذي حدث؟ ولماذا الشرطة تحيط بنا؟ فنحن لم ننفذ العملية بعد.

فقال ضابط الشرطة:

- لقد تلقينا بلاغًا من أمن الفندق يتهمونكم بمراقبة النزلاء، ويشككون في نواياكم، وقد رأينا الشرائط الخاصة بكاميرات الفندق، وتحققنا من صحة البلاغ، لذا سيحضر الجميع معنا إلى قسم الشرطة.

****

كانت سمر عائدة مع صديقتها فرأت سيارات الشرطة وهي تصطحب أولئك المجرمين، فسألت صديقتها أحد حراس الفندق ما الأمر؟ فأجيبها الحارس بما حدث، فنظرت سمر لوجوههم، وحدق بها أحدهم بغضب

شديد جعلها تتساءل لماذا ينظر لي هكذا؟ فأنا لا أعرفهُ ولم أرَ وجههُ من قبل.

******

كان هو جالسًا مع والده يتناول غداءهُ، فقال لهُ:

- سليم إنك بارع في التفاوض، لذا أريد منك أن تذهب هذا المساء إلى السيد أربكان لكي تتحدث معهُ عن ذلك الفندق الذي يملكهُ ونود شراءهُ، لقد حجزت لك موعدًا معهُ هذا المساء.

رد الثاني وكأنهُ إنسانٌ آليٌّ قائلًا:

- كما تريد يا أبي، فليس لديَّ عمل أقوم بهِ اليوم.

نظر لهُ والدهُ وشعر بتغير في سلوكه، بل ومشاعرهِ، فقال بنبرة صوت يفيض منها الحنان:

تبدو حزينًا، وأفعالك تتغير باستمرار، ففي البداية كنت لا تخرج بعد عودتك من الشركة إلا قليلًا، ثم أصبحت تخرج بسيارتك في النهار أو الليل، وأراك سعيدًا وأنت ذاهب وأنت عائد، والآن أراك لا تخرج ولا تعود، وتظل صامًت ماذا هناك؟

رد بنفس نبرة الصوت وبنفس الطريقة:

- لا شيء يا أبي، فقط ضغط العمل يجعلني لا أود الخروج لأستريح.

شعر والدهُ أنهُ لا يود الحديث عما يحزنهُ، فرغب في تغيير الحديث إلى شيء آخر قد يسعدهُ وقال:

- أخبرتني من قبل أنك ستتقدم لخطبة الكاتبة ياسمين المصري، وأنك معجب بأفكارها، وهي حقًا مميزة للغاية ومشهورة، إذن لماذا تأخرت إلى الآن؟

نظر لهُ سليم نظرة وكأنهُ قد نبش حزنهُ أكثر، وبدأ يحكي بحزن عما حدث معهُ في مصر.

******

أخبرت سمر ياسمين في غرفتها بما قد حدث منذ قليل، ثم اتجهت تفتح باب الدولاب تخرج ملابسها، وياسمين تتساءل في اهتمام شديد:

- من كانوا يراقبون؟

ردت سمر وهى تستمر في إخراج الملابس

- يا ياسمين هذا الفندق مليء بالنزلاء من السياسيين والأثرياء والمشاهير، وهم هدف للكثير من المجرمين واللصوص، هل تعلمين لن يفلت هؤلاء من الشرطة التركية بسهولة، ولكن من الصعب أن يعرف أحد من كانوا يراقبون على وجه التحديد.

تغير لون وجه ياسمين، وشعرت بالخوف ولاحظت سمر ذلك فقالت:

- لا تخافي، بالتأكيد كان هدفهم شخص آخر.

ردت ياسمين بوجه قلق

- عقلي يخبرني بذلك، ولكن قلبي خائف، سمر لا أحد يعرفني هنا سواكِ أليس كذلك؟

أجابت وهي تمشط شعرها.

- لا أحد سوى أنا وشقيقي.

ردت ياسمين باهتمام:

- شقيقك يعلم؟

فإلتفتت لها سمر وقالت:

- أجل أخي يعرفكِ، ولكن لا تخافي لن يخبر أحدًا.

- أنا أثق بهِ، ولكنهُ لا يعرف ما يحدث معي، ولذا فقد يسألهُ أحد عني فيجيب بحسن نية.

صمتت سمر برهة ثم قالت:

- كلامكِ منطقي، كما أننا تفاخرنا كثيرًا بكِ، فقد يخبر عنكِ بالفعل دون قصد، سأتصل بهِ أحذرهُ من أي شخص يسأل عنكِ.

أمسكت بالهاتف وطلبتهُ للحظات، ثم نظرت للهاتف ونفخت بشفتيها وقالت لماذا لا يجيب على الهاتف؟ أوه لقد نسيت، إنهُ يجعل هاتفهُ صامتًا أثناء عمله، عندما ينهي عملهُ سيرى اتصالي وسيتحدث إليَّ وأخبرهُ بالأمر، لا تقلقي.

***

في المساء ذهب سليم وأُوغلو إلى الفندق، لم يزُر سليم هذا الفندق من قبل، ظل ينتظر صاحبهُ قليلًا وتعجب من تأخره على الموعد، ثم جاء إليه أحد العاملين بالفندق وقال: السيد أربكان يعتذر منك عن تأخره، ولكنهُ يواجه حالة طارئة سوف تجعلهُ يتأخر قليلًا عن الموعد، فهل تستطيع انتظارهُ لبعض الوقت؟

نظر سليم لأُوغلو، فقال له:

- سليم لا مشكلة من الانتظار، فليس لدينا عمل نقوم بهِ الآن.

فأخبر سليم العامل أنهُ سينتظرهُ، ثم قال لأُوغلو:

- اقترح علينا شيئًا نقوم بهِ حتى يصل أربكان.

- العشاء، أقترح أن نطلب عشاءً لنرَ جودة الطعام هنا أفضل أم في فنادقنا.

أمسك سليم بدفتر صغير كان يحملهُ في جيبه وقال بدون اهتمام

- اطلب لنا عشاءً إذن.

طلب أوغلو النادل وقال:

- ما هي أشهر الأطباق التي يتميز بها فندقكم؟

فقال النادل بفخر:

- أقترح عليك تجربة طبق من الدجاج بالخلطة السحرية، أو أي من اللحوم الأخرى، فجميعها تصبح رائعة بهذه الخلطة، وأتوقع أن تعجبكما سيدي، فهي لا توجد في أي فندق أو مطعم إلا هنا فهى وصفة طباخ الفندق التي تميز بها.

تبتسم أوغلو وقال:

- لنجربها إذن.

أحضر النادل الأطباق بعد دقائق، وسليم لا يزال يقرأ في دفتره الصغير، ثم لفت نظرهُ طريقة تزيين الأطباق، إنها نفس الطريقة التي زينت بها سمر أطباقها في ذاك اليوم فتذكر ابتسامة ياسمين يومها، فقال في سره حتى الطعام يذكرني بهما.

وبدأ في تناول الطعام ليتأكد، ثم قال بلهفة: أُوغلو، ذلك الطباخ هو شقيق سمر، فهذا الطعام لم أتذوقهُ إلا عندها.

استمر أُوغلو بتناول الطعام بشهية، ولم يبدي أي اهتمام لما قال صديقه، بل علق قائلًا:

- حقًا إنهُ شهي للغاية.

نظر لهُ الثاني بإستكار وقال:

- انتبه لما أقول، إن الطباخ شقيق سمر.

إلتفت لهُ أُوغلو وهو مستمر في تناول الطعام وقال:

- وإن يكن ما المشكلة؟

رد سليم وهى يلقى بمناديل الطعام جانبا وقال

- إذن فهو بالتأكيد يعلم من تكون ياسمين المصري؛ لأنها صديقة شقيقتهِ، ويعلم أين سمر الآن.

وبسرعة يداستدعي النادل، بينما أُوغلو مستمر في الأكل، وقال:

- لو سمحت، نريد مقابلة الطباخ لأمر مهم.. أقصد لتهنئتهُ على الطعا

- الطباخ على وشك المغادرة؛ لأن عملهُ انتهى منذ دقائق.

- لا أرجوك، إلحق بهِ قبل أن يغادر.

- كما تريد يا سيدي.

هرول النادل إلى المطبخ وسأل:

- أين محمد؟

فأخبروه أنهُ أنهى عملهُ منذ دقائق ، وقد يجدهُ في طريقه للخروج من الفندق، فهرول إلى قاعة الفندق فلم يجدهُ، فإستمر في الركض فوجد محمد عند باب الفندق في طريقه للخروج، فركض ليلحق بهِ.

وفي نفس اللحظة رن هاتف محمد فتوفق عند باب الفندق ليجيب، فسمح ذلك للنادل من اللحاق بهِ، وعندما وصل إليه كان ينهي حديثه قائلا:

- لا تقلقي لن أخبر أحدًا، مع السلامة، ثم أمسك بمقبض باب الفندق للخروج فأمسك بهِ النادل قائلا:

- محمد، هناك أحد الضيوف في الفندق يصر على مقابلتك.

بدى الأمر غريبًا عليه ولكنهُ عاد لمقابلته ليكتشف ماذا هناك؟

وصل إليهما، فقام سليم من مقعده وصافحه بحرارة وقال:

- تفضل بالجلوس.

فجلس غير مقتنع بهذا الترحاب الحار من شخص لا يعرفهُ.

وما كاد أن يجلس حتى قال أُوغلو:

- نود منك أن نعرف.. فدفعهُ سليم بقدمه من الأسفل وهو يهمس:

- أيها الغبي، اصمت ستجعلهُ يشك بنا، فصمت الثاني بشكل مفاجئ، فقال سليم:

- إنك مصري أليس كذلك؟

ابتسم وقال:

- هذا صحيح.

- وأنا أيضًا مصري، صدفة جميلة أليس كذلك؟

رد محمد والابتسامة على وجهه:

- بالطبع.

- كنت أود تهنئتك على الطعام الرائع.

- شكرًا يا سيدي.

- بما أنك مصري فبالتأكيد تعرف ياسمين المصري، فأنا من أشد المعجبين بأعمالها، هل تعرف من هي أو أين تسكن، فأنا أرغب في مقابلتها لأمرٍ هام.

سمع هذه الكلمات بإذنه اليمنى فتتردد في إذنه اليسرى كلمات سمر: إياك أن تخبر أحدًا عن صديقتي، إياك .

اختفت الابتسامة من على وجهه ودار الشك في عقله وقال:

- وما الذي جعلك تعتقد أني أعرف من تكون ياسمين المصري أو أين تسكن؟

رد سليم بطريقة تقترب من المزاح:

- لأنك مصري.

فقال أُوغلو:

- أليس لديك شقيقة اسمها.. فضربهُ سليم مجددًا بشكل أعنف في قدمه؛ فقطع حديثه .

فزاد الشك في عقل محمد وقال:

- ليس لأنني مصري إذن أعلم من تكون ياسمين المصري، ونهض وهو يقول: آسف، عليَّ المغادرة، وانصرف بسرعة

فقال سليم وهو يشاهده يغادرا لأُوغلو:

-بمنتهى البساطة تسألهُ عن شقيقته! إنها تكذب كثيرًا، وبالتأكيد هو لا يعلم عن كذبها، أو أي مما تقوم بهِ.

- وماذا ستفعل الآن؟ لقد أنكر أنهُ يعرفها.

فرك الثاني بيديه وقال:

- في الحقيقة لا أعلم ماذا أفعل؟ ولا أعرف لماذا كلما اقتربت منها ابتعدت؟

ابتعد محمد عن سليم ووقف عند أحد أركان القاعة التي يجلس بها سليم وصديقهُ وهو ينظر لهُ بتركيز، ثم أخرج الهاتف من جيبه وأخذ يحاول التقاط صورة لهُ، وما كاد يثبت الكاميرا عليه حتى ظهر في الصورة صاحب الفندق أربكان وهو يصافحهُ وجلس أمامهُ مباشرة.

انزعج محمد فقد كان يود أن يلتقط صورة لهُ ليرسلها إلى سمر، فسأل النادل الذي كان يمر من جانبهُ: من يكون هذان الشابان اللذان يجلسان مع صاحب الفندق؟

رد النادل وهو ينظر لهما:

- هذه أول مرة أراهما في الفندق، ثم نظر إلى محمد وقال:

- أنت تعلم الإجراءات مشددة هنا للحفاظ على خصوصية النزلاء، فهذا فندق مهم، ولا تعرض نفسك للأذى يا صديقي، فقد رأيتك منذ لحظة وأنت تحاول التقاط صورة لهما، لا تقلق لن أخبر أحدًا، ولكن لا تعيدها.

أنصت محمد للتحذير من النادل وانصرف.

******

جلس الثلاثة في صمت حذر، الرجل ذو الملامح الصارمة واثنان آخران وكلاهما ينظران لهُ بنظرات استفهام، لماذا هو غاضب؟ ولا يجرؤ واحد منهما على سؤاله.

ثم رن الهاتف فأجاب:

- ألو.

لم ينطق بأي كلمة يستطيع الاثنان أن يفهما منها ما يحدث، ثم أغلق الهاتف بعنف وقال:

- أغبياء، أغبياء، كيف اعتمدت عليهم؟

واشتعل غضبه أكثر وهو يشعل سيجارة قائلا:

- لقد قُبِض عليهم وهم يراقبونها في الفندق التي تقيم بهِ، واضطررنا إلى تدخل أحد رجالنا لإخراجهم، وليس هذا فقط، بل صديقتها قد رأتهم وحدقت بوجوههم، أي أنهم لم يعودوا صالحين لتنفيذ العملية، وسنحتاج لفريق آخر، وبسرعة قبل أن نفقد أثرها، فقد تغادر الفندق في أي وقت.. فهما في الغالب في الفندق لحضور حفل الزفاف الليلة.

الفصل الخامس

ارتدت كلتاهما فستانين اختارتهما سمر بعناية من قبل، بدت سمر كطاووس يباهى بجماله، في ثوب نجمة سينمائية، أما ياسمين فبدت كفراشة لا ترى جمال أجنحتها، وكان هذا يزيدها جمالا .

دخلا إلى قاعة الزفاف وسمر تتحدث لها قائلة:

- سأكون مشغولة قليلًا لأني كما تعلمين سأشرف على تنفيذ ترتيبات الزفاف.

- لا مشكلة، فقد تعرفت على بعض الفتيات، ويمكنني قضاء الوقت معهن.

ذهبت كل واحدة منهما في اتجاه، اختلطت ياسمين مع الحاضرات في الحديث، استمر المدعوون للزفاف في الحضور حتى امتلأت قاعة الفندق عن آخرها، بدأ الجميع يصفق بسرور لدخول العروسين.

بينما كانت ياسمين تشاهد العروسين وهما يرقصان بهدوء ركزت بعيونها وأطالت النظر وهما يميلان وكأنها ترى شيئًا خلفهما تريد التأكد من رؤيته، تميل يمينًا تارة، ويسارًا تارة أخرى، حتى لاحظت الفتيات ذلك فضحكن على فعلها، فانتبهت ونظرت لهن، فقالت إحداهن:

- لماذا كنتِ تنظرين بغرابة وتميلين هكذا؟

شعرت بالإحراج قليلًا، وقالت:

- لقد هُيئ إليَّ أنني أرى إحدى صديقاتي هناك بين الحاضرين في الجانب الآخر للقاعة، ولذا كنت أتأكد.

ثم سارت بعيدًا عنهن تنظر في نفس الاتجاه وتستمر في السير وكأنها تبحث عن أحد ما، وتسير وكأنها في عالم آخر، اختفى صوت الموسيقى والضوضاء من أذنيها ولا تأبه للحاضرين هنا وهناك، لم تكن منتبهة لما يحدث من حولها، ثم شعرت بيد تمسك بها من ذراعها، فشهقت، فإذا بها سمر تقول لها:

- ألا ترين امامك ؟ لقد كدتِ أن تصطدمي بالنادل وهو يحمل المشروبات.

ردت الأخرى وهي منزعجة وترفع ذيل فستانها:

-لقد خُيِّل إليَّ أنني رأيت.. فقاطعتها سمر وهى تشير بإصبعها قائله:

- انظري هناك، وهي تشير إلى مجموعة من الشباب فقالت ياسمين:

- أحمد! ماذا يفعل هنا؟ لقد ظننت أنهُ خيل إليَّ منذ قليل.

بعد أن قالت عبارتها الأخيرة انتبهت أنهُ ما كان يجب قول هذا، ولكن سمر لم تك تأبعه بل قالت بسرعة:

- هذا أكبر دليل أنهُ كان جاسوسًا، فماذا يفعل سائق مثلهُ في هذا الحفل الفاخر ؟

ردت ياسمين بسخرية:

- لن يختلف عما تفعلينه أنتِ هنا؟

- ياسمين، صدقيني، أشعر أنهُ كاذب في كل شيء يقولهُ.

ردت ياسمين وهي تنظر لهُ وهو يتحدث بتلقائية تامة تظهر في تحركات يديه وجسده:

- قد تكون تصرفاتهُ غريبة في بعض الاحيان، ولكن أشعر أنهُ ليس كاذبًا.

هما تتحدثان وخلفهما مباشرة شاب يسترق السمع لكل كلمة تُقال، فسمع سمر تقول:

- سأتأكد الآن من حقيقته، لحظة واحدة فهذه الفتاة، وأشارت إلى فتاة ترتدي فستانًا أحمر أنيقًا وجذابًا، وأكملت:

-تعرف كل أهل إسطنبول، سأسألها من يكون؟

وسارت في اتجاهها، بينما ياسمين والشاب الآخر يراقبانها بمنتهى الدقة، ولكن الشاب يبدو غاية في الانزعاج.

اقتربت سمر من الفتاة وسألتها:

- من يكون هذا الشاب؟

نظرت الفتاة وقالت:

-أعرفهُ جيدًا، إنهُ.. فجأة اصطدم بها النادل وهو يمر وسقطت المشروبات على فستانها، ثارت الفتاة من شدة الغضب وهى تنظر إلى فستانها الذي أبتل وفسد مظهرهُ، وأخذت تصرخ بالنادل.

اقتربت ياسمين من سمر وقالت:

- أرأيتِ؟ ذلك النادل الذي كاد أن يصدمني منذ قليل!

أشارت سمر بيدها إلى أحد العاملين وهى منزعجه وقالت:

-هذا النادل يتم تغييره الآن بشخص آخر، إنهُ يتسبب في الكوارث، ثم نظرت لياسمين وقالت:

- هذا لن ينسيني موضوع أحمد، سوف أسأل شخصًا آخر، والتفتت.. فاصطدمت بشاب ما وكادت أن تسقط لولا أن الشاب امسك بها من يدها ، وأخذ يعتذر:

- أنا آسف آنستي، لقد كنت المخطئ، أنا آسف حقًا.

إنهُ نفس الشاب الذي كان يتجسس، فقالت سمر:

- لا مشكلة أنا بخير.

رد بإبتسامة

- هل يمكنني أن أساعدكِ في أي شيء آنستي كنوع من الاعتذار.

ابتسمت وقالت

- أجل، هل تعرف من يكون هذا الشاب؟ فأنا صديقة العروس المقربة، وقد ساعدتها ت في إعداد دعوات الزفاف للمدعوين ولا أذكر أنني دعوت هذا الشاب.

نظر الشاب لهُ وهو يغالب الضحك، ثم قال:

- إسمه أحمد، يعمل سائقًا، وهو صديق لأقارب العريس.

نظرت ياسمين لسمر وهي سعيدة، والاخرى تتصنع عدم الاهتمام؛ وعادت للإشراف على الزفاف، بينما تسلل الشاب الآخر حتى وصل إلى سليم وقال:

-لقد أنقذت كذبتك وعثرت لك على ياسمين وسمر، سيتوجب عليكِ مكافأتي.

رد الثاني بدهشة وهو يضع كأس العصير من يده على المنضدة:

- أُوغلو، ماذا تقول؟ حقًا أم إنك تمزح؟

- لا لست أمزح، فلقد كانتا منذ قليل على وشك الإيقاع بك، ولكن القدر ساعدك وكنت هناك، سأحكي لك فيما بعد، فالأمر مضحك، وأكثر ما يضحكني أن هذه الفتاة بارعة في الكذب، فلقد أخبرتني منذ قليل أنها صديقة العروس وأنها رتبت حفل الزفاف، لا أعرف كيف تكذب بسهولة هكذا!

بينما سليم عثر بعيونه على ياسمين وراح يراقبها وهي على طبيعتها ، لا تختلف ابتسامتها وأفعالها بمفردها أو مع حشد من الناس.

قطع تركيزه أُوغلو وهو يقول:

- كنت تنوي عدم حضور الزفاف، لو فعلت لما عثرت عليهما.

بينما الآخر نسي كل ما يحدث حولهُ واحتل تفكيرهُ ياسمين، جميع الحاضرين يبالغون في التزين، وفي ارتداء ملابس لافتة، ومجوهرات غالية الثمن.

الجميع يحاول التميز، وعندما يحاول الجميع التميز يصبح العادي هو المميز، كياسمين في عيون سليم أصبحت هي المميزة.

لقد غاب عن كل منهما ما يحدث حولهما فلم ترَ غيرهُ، ولم يرَ غير ابتسامتها إلى نهاية الزفاف مهما قهقه المحيطون بهما، من السهل أن يكون الكثير من الناس حولك ولكن من الصعب أن يكونوا بداخلك..

******

في الصباح كان التاكسي قد وصل بهما إلى القصر، دخلت ياسمين أولًا وهي تقول ببهجة:

- لقد بدأت أشعر وكأن هذا القصر هو منزلي ، لم أتذوق طعم الراحة في الفندق.

بينما تسير سمر وهى تحمل باقي الحقائب بضجر وهى تلوي شفتيها قائلة:

- أغرب إنسانة رأيتها في حياتي، لا تحب الراحة، لقد كنت سعيدة في الفندق وكأنني سيدة أعمال.

وما إن وضعت ياسمين حقيبتها حتى قالت وهى تنفخ الهواء وتفتح ذراعيها وتنظر حولها:

- سنعود إلى حياتنا بشكل طبيعي، وسنتنزه، وسنتصل بأحمد ليقلنا في الغد.

بينما تراقبها سمر وهي تقول كلماتها بسعادة ورضى تام، وكأنها كانت تنتظر هذه اللحظة.

*****

في قصره يجلس على مكتبه الخاص به يمسك بهاتفه ينتظر أن ذلك الاتصال وأُوغلو يراقبهُ لبعض الوقت ثم قال:

- ما الذي أدراك أنها ستتصل؟

رد وهو ينظر للساعة

- اليوم إجازة سمر ، وكانت تخرج للتنزه، وما ذكرتهُ يوم الزفاف أثبت لي أنهما كانتا تشكان بي، ولذا انقطعا عني، والآن زال الشك وسيعاودان الاتصال بي.

نظر لهُ صديقهُ تلك النظرة المشبعة بالأسئلة ثم قال:

- أخبرني يا سليم، لو لم تعثر على ياسمين المصري ماذا ستفعل؟

- لا أتمنى ذلك، ولكن إذا حدث فبالتأكيد سيهديني الله فتاةً بنفس عقلها الجميل وسأ..

رن الهاتف فقطع كلامهُ، فنظر لهُ بابتسامة كبيرة وقال:

- ياسمين، سأخرج، إلى اللقاء يا صديقي.

وسار بخطواتهِ يتعثر في هذا الكرسي وهو يمر، ويصطدم بتلك الطاولة، ويسقط تلك التحفة التي يتلقاها صديقه من خلفه وهو يقول بتأفف:

- إنك سيء في القيادة بكل أحوالها، حتى قدميك لا تستطيع أن تقودها بشكل جيد!

عاد يقول لهما شقيقتاي، وتضحك سمر، وتصمت ياسمين، ويسأل عن كاتبته المفضلة، وتضللهُ سمر أكثر لتبعدهُ عنها بكل الطرق.

ففي ذات مرة قال لها:

- سمر ألم تخبريني أنكِ أصبحتِ تعتبرينني شقيقك؟

ردت: بكل تأكيد.

- إذن لماذا لا تخبريني عن ياسمين المصري؟

نظرت لهُ وتصنعت الحزن، ثم قالت:

- ما أخبرك بهِ قد يحزنك.

فتغير لون وجهه وقال

- هل حدث لها مكروه؟

ضحكت وردت

- لا، لم يحدث لها مكروه.

- إذن ما الذي حدث لها؟

تصنعت الحزن أكثر، ونظرت لهُ وحاولت التحديق في عيونه لتكون مقنعة، وقالت:

- لقد تم خطبتها لشاب ثري.

شعر بالصدمة ونظر حولهُ بضيق يهرب مما سمع، ثم نظر لها وقال:

- بالتأكيد هذه كذبة، أعرف هذا، أنتِ تكذبين، وختم كلامهُ بالضحك والقهقه بصوت مرتفع .

ردت وهي تتصنع الاندهاش:

- أكذب! هذه هي المرة الثانية التي تتهمني بها بالكذب.

رد ساخرًا منها:

- لقد سلبتكِ حقكِ، أنتِ تكذبين أكثر من تناولكِ للطعام، وأكثر من ذهابكِ للعمل، أكثر من شرائكِ الملابس، أكثر من أي شيء، واستمر في ضحكه.

وضعت يدها على خدها وفتحت شفتيها بشكل مستدير وقالت:

- آه، أنت تكرر كلامك وتقول مجددًا أنا أكذب!

- لقد كنت أمزح معكِ، والآن أخبريني شيئًا حقيقيًّا عن ياسمين، شيئًا يمكنني تصديقهُ.

وتستمر في مراوغته، فتارة تقول لهُ: هي لن تتزوج مطلقًا، وتارة تقول لهُ: لقد تركت مصر ولا أعلم أين ذهبت، وهو لا يصدقها في كل ما

تقول، ويظل يسألها لعلهُ يعثر بين كذبها علي حقيقة تصلهُ واحدة تصلهُ بها.

ويظل الثلاثة هكذا يُخفي كل واحد منهم حقيقتهُ عن الثاني ثم يحاول اكتشاف الثاني بشكل أوضح.

تقضي ياسمين ليلها تبحث في الرسائل المرسلة لها ممن اسمهم أحمد، بل وتقرأ كل تعليق كتبهُ شخص اسمهُ أحمد لكي تعثر عليه ولم يحدث، وكيف يحدث ذلك وهو اسمه سليم، ويرسل الرسائل باسم سليم، وتعليقاتهُ باسم سليم!

وعندما يحيرها الأمر تخبر سمر، فتحاول سمر الإيقاع بهِ، فتقول لهُ:

- هل لديك حساب على الفيس بوك لكي أضيفك لأصدقائي.

يرد الثاني:

- لا لا ليس لدي حساب على الفيس بوك.

فتنظر لهُ كلتاهما نظرة التكذيب الواضحة، فكيف ليس لديه حساب وهو دائمًا يردد:

- أنا أتابع ياسمين على صفحتها، أنا أرسل لها رسائل وستستجيب لي يومًا، أنا.. أنا.. فيسرع هو قائلًا:

- أقصد لدي حساب، ولكن أستخدمهُ فقط في العمل لترويج عن عملي كسائق لمن يريدني توصيلهُ، ولعرض سيارتي الفارهة لتجذب الزبائن.

بالطبع هذه ليست بإجابة، فتضحك كلتاهما كمجاملة لهُ، ثم تقول سمر:

- أنت أكثر كذبًا مني، يا لك من كاذب كبير.

ويعود فيقول لياسمين:

-هل ستظلين بدون عمل؟ فكري في الأمر وأنا سأساعدكِ في العثور على العمل فورًا.

تبتسم ولا تعرف بماذا تجيب، وتستمر في الصمت، وتنظر إلى سمر التي تتدخل قائلة:

- عندما تثبت هذا لي وتساعدني على العمل في الشركة عندها سنثق بك وستلحق ياسمين بي.

رد في سره يا أله إنها تقف كاللقمة في الزور، كلما حاولت التعرف على البريئة تقفز اللئيمة في وجهي محاولة اقتناص الفرصة.

عادت حياة الثلاثة بشكل طبيعي، وعندما تعود الحياة بشكل طبيعي فهذا غير طبيعي، فدائمًا هناك شيء غير طبيعي مختبئ خلف الطبيعي.

وعاد شبح أسود من الظلام يراقبها بخبث يترقب الفرصة للانقضاض عليها، وبقدر شرهم يرتد عليهم ظلامهم مغلق الطرق أمامهم للوصول إليها، وهي كالنور الذي يتبدد الظلام في وجودهُ، فيغضب الرجل ذو الملامح الصارمة ممن كلفهُ بالعملية وينفجر قائلا وهو يحدق بعيونه بنظرات تكاد تطلق النيران عليه:

- إلى متى سأنتظر؟ لو طلبت رئيس جمهورية أحد الدول لكان قد تم الأمر، والآن لا تستطيعوا الإيقاع بمجرد فتاة غريبة وحيدة لا يوجد بالقرب منها أي من أقاربها!

ويرد الثاني يحاول الدفاع عن نفسه بذل:

- سيدي إنك تود عملية نظيفة بدون أي أثر في دولة غريبة، وتلك الفتاة نراقبها ليل نهار، فقصرها أصبح لا يخلوا من الفتيات، بنات رجال الأعمال، بل وبعض المشاهير، فكيف يمكننا تنفيذ المهمة هكذا؟

- يمكنكم تتبعها عندما تغادر القصر.

- عندما تخرج نجدها بصحبة سليم سليمان الذي يقلها في سيارته في ذهابها وعودتها، وهو أكثر خطورة من السابقين، ففي بعض الأحيان نجدهُ يسير معها ويقلها بالسيارة والحرس الشخصي الخاص بهِ يراقبهما من بعيد، فماذا نفعل الآن؟ ليس أمامنا سوى انتظار اللحظة المناسبة.

غادر الرجل ذو الملامح الصارمة مكتبهُ بغضب وصفع الباب بقوة في وجه المجرم الذي كان يتبعهُ ويسير خلفهُ كالكلب الذي يتبع سيدهُ.

الفصل السادس

تراها منزعجة ولا تكف عن التفكير تنظر هنا وهناك، فقالت لها:

- ماذا هناك يا سمر؟

ردت الثانية وهي تمسك رأسها بيديها، ثم تفرك بيديها قائلة:

-الجميع بدأ يشك بي حول صداقتي لسليم سليمان ورغبتهُ في الزواج بي، ولا أعرف ماذا أفعل؟

ردت ياسمين بنبرة صوت هادئة ونظرة أكثر هدوء

- لقد أخبرتِني من قبل أنكِ ستنهين الأمر بكذبة رفضك طلبهُ للزواج، أعتقد أن هذه الكذبة حان موعدها لننهي هذه المسرحية الآن.

سارت في الغرفة بتوتر، ثم وقفت وقالت:

- لو فعلت هذا الآن سيتأكد شكهم، وسيعرفون أنني كنت أكذب، أنا فقط أحتاج إلى كذبة قليلة لإثبات صدق الاولى وبعدها سأنهي القصة .

صفعت ياسمين يديها وفركت جبهتها ثم قالت:

- كذبة أخرى! متى سينتهي مسلسل الكذب السخيف هذا ؟

انغمست سمر أكثر في التفكير في الكذبة التي تحتاجها لإثبات وإنهاء كذبتها الأولى.

جاء يوم الإجازة، ذهبتا للتنزه وزيارة قصر دلما، وبعد انقضاء يومهما كانوا عائدين بسيارة سليم في طريق العودة لقصرهما.

وعلى الجانب الآخر من الطريق تسير سيارة سوداء تترصدهم، وبداخلها أحدهم يقول :

-هذه هي فرصتنا الوحيدة، فبعد التجسس عليهما علمنا أنهما ستكونان وحيدتان هذه الليلة، لا ضيوف، لا فتيات، وعندما يغادر سليم سليمان سننقض عليهما في قصرهما.

وصل سليم بالسيارة أمام باب القصر، ووقف ينتظر منهما النزول، سمر كانت تنظر للمرآة عند السائق حيث انعكاس وجههُ، بينما تنظر لها ياسمين بتعجبٍ.

وقبل أن تقول لها هيا لننزل من السيارة، كان أحمد قد لاحظ فنظر لها للخلف بعيونه متسائلًا، فقالت :

- أحمد تقول دائما أنني تعتبرني أخت لك ، لو كنت محقًا فسأطلب منك طلبًا صغير.

رد بترحاب قائلًا: اطلبي ما شئتِ.

يظن أنها تحتاج للمال و وضع يده على محفظته وأخرج الفيزا .

فأكملت: أنت تعلم أن صديقي سليم لا يحب الظهور للأضواء إطلاقًا.

كتم هو ضحكتهُ وأومأ برأسه وأعاد الفيزا للمحفظه قائلًا:

- أجل أجل.

ظهرت الريبة على وجه ياسمين ونظرت لها تحاول تخمين ما تخطط لهُ ، فتابعت سمر:

- ولو خرج للأضواء ستركض خلفه الفتيات كما يركض هو خلفي، وستضايقه الأضواء.

رد وأومأ برأسه:

- أجل أجل.

فتشجعت وقالت:

- وصديقاتي يتوقعون حضورهُ حفل عيد ميلادي الذي سأقيمهُ نهاية هذا الشهر.

فأكمل:

- وماذا بعد هذه المقدمة؟

فقالت بلطف واضح في نبرة صوتها ونظرتها لهُ

- أنت دائمًا ترتدي ملابس غاية في الأناقة وكأنك من أثرياء تركيا، ولا أعرف كيف تستطيع امتلاك هاتف غالٍ كهذا، وساعة باهظة الثمن، وقد ورثت سيارة فارهة، من يراك صدقني لو لم تخبرهُ أنك سائق لن يصدق أحد إلا كونك رجل أعمال ثري جدًا.

صمت هو يفكر يا لكثرة أخطائي التي كنت أقع بها في كذبي، لقد كانتا تلاحظان كل شيء وأنا أظن أني بارع والحظ يلعب إلى جانبي، حقًا من السهل أن تكذب الكلمات، أما الأفعال فتظل كما هى تصدق الكلمات أو تكذبها.

استيقظ من تفكيره على صوتها وهي تقول:

- أريد منك أن تمثل دور صديقي سليم سليمان في حفل عيد ميلادي.

اتسعت عيونهُ وهو ينظر لها قائلًا:

- ماذا؟ أنا سليم سليمان.. كيف.. ولكن..أقصد...

صرخت ياسمين مقاطعه لهُ:

- لا أرجوكما، ونظرت ل سمر قائلة: لا تطلبي منهُ ذلك،

ونظرت له تترجاه بعيونها قائلة: أرجوك لا تفعل، لو أراد صديقها الحضور لحضر بنفسه.

نظرت لها سمر بغضب ونشب شجار بالكلمات بينهما عليه وهو يتأملهما أثناء الشجار، فتاتان تتشاجران من أجله، أحداهما في منتهى البراءة تدافع عنهُ وهو لا يستطيع الدفاع عن نفسه! بل وجد الأمر مضحكًا وأخذ يراقبهما وهما تتشاجران، هل سيصمد الكذب أثناء الشجار أيضًا أم سينهار؟

لم يصمد الكذب طويلًا، أثناء الغضب ينهار كل شيء، فوجد ياسمين تقول لها:

- كيف تفعلين هذا بهِ؟ ماذا لو كانت لديه حبيبة يسعى للزواج منها؟

- ليس لديه أي حبيبة، إنه وحيد تمامًا أيتها البلهاء.

- كل إنسان وحيد لديه حبيب مفقود سيعود يومًا ويطرد الوحدة.

نظر لها متأثرًا وهي تعبر عنهُ وتصف حالهُ، كيف لها أن تشعر بهِ، هل يوجد ملائكة على الأرض مثلها!

أرادت سمر أن تشوش على ما قد قيل الآن وتغير مجرى الحديث فنظرت لهُ وقالت:

- سأعطيك أجر ما ستحصل عليه لثلاثة أيام من عملك كسائق لتقوم بالأمر.

فردت ياسمين:

- سأعطيك أجر أسبوع مقابل ألا تقوم بالأمر.

فضحك وقال مازحًا:

- يبدو عرض ياسمين أفضل؛ لأنني سأحصل على المال ولا أقوم بشيء.

نظرت سمر لكليهما بغضب، ثم قالت بمكر:

- إليك العرض الذي لا يستطيع أحد المنافسة بهِ، إذا قمت بما أريد فسأجعلك تتحدث إلى ياسمين المصري، ومن يدري قد أخبرك من تكون وأين تسكن.

لقد انهارت دفاعات الاثنين، ونظر لها كلاهما بدهشة غير مصدقين ما سمعا، ونظرت لها ياسمين تحذرها بعيونها بالتوقف، وقال هو:

- ماذا؟ ياسمين المصري!

فأكملت سمر:

- حبيبتك التي تود لقاءها لنرى مدى حبك لها؟

جعلتهُ يدخل اختبار سيخرج منهُ أمام ياسمين إما غير نزيه لو قبل العرض، وعندها لن توافق ياسمين على الزواج منهُ أبدًا، أو لا يحبها لأنهُ لم يضحِ من أجلها.

أما هو فكان الاختبار أصعب سيكشف نفسهُ لو وافق، كان يفكر سأبيع نفسي من أجلها أم أفقدها ربما للأبد؟

صمت للحظات ينظر للطريق من حوله، ثم رأت عيونهُ براءة ياسمين التي تنتظر قراره وكأنها مسألة حياة أو موت

فقال بتأثر:

- أنا آسف، لا يمكنني القيام بهذا الأمر.

صرخت بهِ وهي تترجل عن السيارة قائلة:

- إنت تكذب ولم تحبها يومًا، فلو أحببتها لضحيت للوصول لها.

نزلت من السيارة وياسمين تنظر لهُ بصفاء، ثم قالت:

- أحييك على قرارك، وسمر سوف تهدأ وتعود كما كانت، على الأقل لن نؤذي ذلك الشاب الذي يسمى سليم سليمان، أو ندمر حياتهُ.

أما هو فكان لا يزال هائمًا في تفكيرهُ، فتاتان كانتا تتشاجران؛ الأولى من أجل المزيف الذي تظن أنها تعرفهُ، والثانية من أجل الحقيقي الذي

تظن أنها لا تعرفهُ، وكم هو غريب هذا القدر عندما يريك فتاة تدافع عنك فقط لأنك إنسان.

كثيرًا ما يحدث في حياتنا نفس الأمر عندما نظن أننا نعرف أحدهم بشكل واضح، والحقيقة أننا نعرف فقط جزءًا منهُ، والجزء الأكبر هو يخفيه، بعضنا يخفي المكر، والآخر يخفي الطيبة لكيلا يستغلهُ الآخرون، وبعضنا يخفي حبهُ، وآخرون يخفون كراهيتهم، والكثير منا يخفي ألمًا أو أسرارًا لا يعلمها إلا الله.

أصبحت ياسمين البريئة الآن بداخل عقله وفي طريقها إلى القلب، لقد أسلم لها تفكيرهُ بسعادة غامرة، لم تطلب أن يسلمها قلبهُ الآن، ولكنهُ قدمهُ كهدية لها ويتمنى أن تقبلهُ.

وهو في طريق ذهابهُ كان يفكر في ياسمين المصري، والآن هو يألف ياسمين البريئة.

ماذا؟ هل وقعتُ في حبها وأكتشف الآن؟

إذن هل تكون هذه هي الفتاة التي سيهديها لي الله بدلًا من ياسمين المصري؟

لا أعرف لماذا لا أشعر بأي فرق بين حبي لياسمين المصري وياسمين البريئة؟

وكأن قلبي قد أحب توأم الأولى، أحببت أفكارها وكلماتها، والثانية أحببت روحها وبراءتها.

يقود سيارتهُ ويفكر كيف سأتزوجها؟

لا أستطيع أن أُعلمها بحقيقة من أكون، وكل حقيقتي هي حفنة من الأوراق الملونة تتهافت عليها الفتيات دون النظر إلى وجهي، فهي تشتري كل شيء إلا قلبًا صادقًا يحبني، ولست ممن يسطر الشعر فأسحرها بكلمات شعري، وما أنا بطارد الهكسوس من مصر فتعشقني كأحمس، وقد مضى زمن عظمة الرومان لكنت خضت حربًا من أجلها كأنطونيو، وما أنا إلا إنسان عادي قد أحبها بصدق، فهل سترى في هذا الانسان ما يستحق حبها؟

سرقت عقلهُ قبل قلبه، ورأت عيونهُ صورتها البريئة أمامهُ وهو يقود سيارتهُ، إنها كعصفورة تحلق بفستان أبيض وتبتسم لهُ وهو تنظر للخلف ثم تحلق للأمام، وهو خلفها كلما اقترب منها ابتعدت وابتسمت لتسحره أكثر، ظل يقود السيارة خلفها ليلحق بها.

وأصبحت السيارة تُقاد بيديه فقط بدون عقل يعقل أو عيون ترى غير ياسمين ، هي تُحلق بثوبها الأبيض أمامهُ فتلامس أطراف ثوبها الناعم برقة، وهو يتبعها ويستنشق عبيرها كزهرة الربيع، فجأة غادرت ابتسامتها وجهها البريء واختفت من أمام عيونه، وتحول لون أطراف فستانها الأبيض إلى سواد مخيف وهى تتلاشى في الظلام، ووجد نفسهُ يصطدم بعنف بسيارة سوداء..

لا يدري من أين خرجت؟ وتناثر أربع رجال في الهواء، اثنان منهما كانا يقفان بجانب السيارة، واثنان آخران كانا يقفان أمامهما، وصدم هو السيارة من الخلف بقوة فطرح الأربعة أرضًا، بينما اندفعت السيارة

وانزلقت في منحدر على جانب الطريق، وظلت تتخبط وتصطدم بعنف على جوانب المنحدر حتى وصلت إلى قاعه كخردة قديمة متهالكة.

نزل من السيارة ينظرهم ووقف مذهولًا مصدومًا مما فعل، ولا يستطيع أن يصدق ما قد حدث.

الفصل السابع

لقد صدم السيارة الشبح السوداء.. سيارة الخفافيش، أجل إنها هي كانت في طريقها لقصر ياسمين، وفي الطريق توقفت منتظرة إياه أن يغادر حتى ينقضوا على تلك العصفورة البريئة بعيدًا عن صقرها الذي يحميها دون أن يدري .

وقد شعر أولئك الخفافيش بالملل من كثرة الانتظار، وخرجوا ملتفين حول السيارة منتظرين مغادرتهُ، فصدم السيارة والأربعة حولها ودفعتهم السيارة على جوانب الطريق وتهشمت عظامهم، و انزلقت السيارة على جانب الطريق حتى تحطمت.

لقد استفاق سليم من حلمه على كابوس الحادث، وهرول بفزع يدور حول السيارة ينظر ماذا فعلت؟ لو كان يعلم من هم لما أشفق عليهم، في بعض الأحيان تقدم لك أخطاؤك التي وقعت بها ما لم يقدمهُ لك الصواب، في هذه اللحظة تصبح نقاط ضعفك هي قوتك.

نقلت سيارة الإسعاف المصابين للمستشفى، وهو يتبعهم بسيارته، وظل يكرر اعتذاراتهُ على آذانهم مرارًا وتكرارًا، وهم مقيدون بالجبس، لقد هشم عظام الأربعة.

لم يكن يدرى أنهُ بهذا الحادث قد حمى حبيبتهُ، ليس ظاهر الأشياء كباطنها.

حملق بهِ الأربعة بغضب وهو يظن أن غضبهم بسبب الحادث فيكرر:

- أنا آسف، سأدفع تكاليف علاجكم في المستشفى، وعندما تخرجون سأشتري لكم سيارة جديدة و...

قطع حديثه دخول الممرضة وهى تمسك بهاتف ما وتقول: هاتف أحدكم لم يتوقف عن الرنين منذ وصولكم للمستشفى لقد نجى هذا الهاتف باعجوبة.

فرد أحدهم: كان في يدي عند الحادث

رد سليم: وجدته ساقط بين الحشائش لذا لم يتضرر وكلما كنت اجيب كان يغلق الهاتف في وجهي بمجرد سماع صوتي.

وفتح الهاتف و وضعه على إذن الرجل المجبر جسده بالكامل وأشار للمرضه بالامساك بهِ

فرد الرجل بصوت مهزوز خافت:

- ألو.

فرد الرجل ذو الملامح الصارمة قائلًا:

- ألم أخبرك أن تتصل بي عندما تنهي المهمة، ومن صاحب الصوت الغريب الذي كان يجيب؟

فرد الثاني وهو يكاد يدخل في الجبس أكثر من الخوف كدخول السلحفاة داخل قوقعتها لا يظهر منها سوى أطراف أقدامها وقال:

- سيدي لم نستطع تنفيذ المهمة.

- أيها الأحمق ماذا تقول؟ وإين أنتم الآن؟

- نحن في المستشفى.

- ماذا تفعلون في المستشفى؟ أهي ما زالت على قيد الحياة فذهبتم خلفها لقتلها؟

- لا بل تعرضنا لحادث، وقد تكسَّرت عظامنا نحن الأربعة، لقد صدمنا سليم سليمان بسيارته ونحن في طريقنا لتنفيذ العملية.

فرد الرجل ذو الملامح الصارمة بعنف:

- إذن فقد رآكم وتعرف إلى وجوهكم؟

- أجل يا سيدي، وهو في المستشفى معنا.

-اغبياء لم أرَ طوال حياتي حمقى مثلكم، والآن بما أنهُ تعرف إلى وجوهكم لن تنفذوا العملية حتى بعد تعافيكم، ولا يمكنكم المكوث في

نفس المستشفى، فقد يبحث عنكم ويعرف لصالح من تعملون، سوف أنقلكم من هذه المستشفى، لا تعطوه أي بيانات عنكم مفهوم؟

أغلق الهاتف وهو في قمة غضبه وزفر وقال :

- نحتاج إلى فريق جديد لتنفيذ المهمة.

ثم نظر إلى صورتها التي حصل عليها من قبل وهي تنظر وتبتسم وقال:

- يا لتلك الفتاة الملعونة، وكأنها تملك أحد لعنات أجدادها القدماء فتلقيها على من يعاديها، أبحث عنها وأراقبها منذ عام، وكلما اقتربتُ من الإمساك بها إما تهرب، أو تأتي الأقدار في صالحها بشكل لا يتوقعهُ أحد.

****

في صباح اليوم التالى كان جالسًا على مائدة الإفطار يناقش والدهُ قائلًا:

- لا أفهم لماذا غادروا المستشفى ولم يتركوا لي أي وسيلة للاتصال بهم حتى أهديهم سيارة بدلًا من التي حطمتها وأدفع لهم ثمن علاجهم كتعويض عما بدر مني.

فرد والدهُ:

- لا أستطيع أن أفهم كيف تحطمت سيارتهم بهذا الشكل وكأنها خردة، بينما سيارتك كل ما أصابها هو مجرد خدوش من الأمام! وتكسرت عظام أربع رجال وأنت ولا جرح بسيط!

رد بخجل: لأن سيارتهم كانت تقف على جانبي الطريق بالقرب من منزلق، وبمجرد أن صدمتها انزلقت في الانحدار حتى اصطدمت بنهاية المنحدر، أما هما فاثنان كانا يقفان أمام السيارة فدهستهما في طريقها، والاثنان الآخران كانا إلى جانب السيارة فدفعتهما السيارة بقوة إلى جانب الطريق فاصطدما بالأرض بشدة؛ فتكسَّرت عظامهما.

رد والده وقد اتسعت عيونهُ من التركيز قائلًا:

- كانت السيارة تقف على جانب الطريق فكيف صدمتها وأنت على الطريق؟

- لأن ياسمين ركضت فجأة إلى الجانب وأنا خلفها..

قطع حديثهُ وأغلق فمهُ بيديه وهو يراجع نفسهُ ماذا قلت؟

بينما تساءل والدهُ:

- لماذا سمعت كلمات لم أفهمها؟ هل يمكنك أن تعيد ما قد قولت؟

ظل يحاول سليم أن يبرر ما قد حدث دون أن يكشف نفسهُ لوالده، ثم غير الحديث مع والده الى العمل.

مدير أعمالهِ وصديقهُ المقرب يراقبهُ ويرى التغير الواضح في أفعاله، تتصل بهِ فيذهب إليها بسعادة، يغير جدول عمله لو اتصلت به بشكل مفاجئ، يخمن الاماكن التي سترغب في زيارتها مستقبلا ويكون سعيد عندما يصيب ظنهُ حفظ انواع الاكلات التي تحبها وتشتريها عندما

تخرج معه وأصبح يطلب من الطباخ إعدادها في المنزل ، فقال لهُ ذات مرة:

- سليم، لماذا أصبحت تعطيها الكثير من وقتك؟ يمكنك أن ترسل لها أي سائق يجيد اللهجة المصرية، وإلى متى ستظل تلعب دور السائق وأنت رجل أعمال، حتى إنك لا تجيد القيادة.

فرد سليم وهو يشيح بوجه عنه قائلًا:

- لا، لا ينبغي التخلي عن فتاة بريئة مثلها، كما أنها لا تطلبني كثيرًا، فقط مرة واحدة كل أسبوع أو أسبوعين، ودائمًا تطلبني بعد انتهاء عملي.

- أكمل يا صديقي الإجابة، وإلى متى ستلعب دور السائق وأنت رجل أعمال؟

رد وهو يرتدي معطفهُ:

- أرى أنها فرصة جيدة لأحسن من مهارة قيادتي للسيارة، ونهض قائلا الى اللقاء.

*****

بعد أن هدأ غضب سمر من رفض أحمد القيام بالأمر قررت إلغاء حفل عيد ميلادها حتى لا يُكشف أمرها وتعللت للجميع أنها مريضة.

كانت في طريقها للخروج من القصر ذاهبة إلى العمل عندما قالت لها ياسمين:

- مكالمة من أجلك.

- من على الهاتف؟ ومن الذي يطلبني في الصباح الباكر ؟

ردت ياسمين:

- عندما تجيبي ستعلمين.

أمسكت بالهاتف:

- ألو.

- ألو كل عام وأنتِ بخير، اليوم عيد ميلادك، أحببت أن أكون أول المهنئين.

تنهدت ولم ترد لأنها تعرفت إلى صوته، بل نظرت إلى ياسمين التي كانت تبتسم لها.

فأكمل هو:

- احترت أي هدية أحضرها لكِ، ولذا فكرت أن أهديكِ ذلك العمل في الشركة الذي طلبتِه من قبل، فهل أنتِ مستعدة لتوقيع العقد اليوم مع صديقي مدير الشركة؟

اتسعت عيونها وفتحت شفتيها بشكل مستدير وصرخت من السعادة قائلة:

- حقًا؟ اقصد أجل أجل، أنا مستعدة للمجيء إليك الآن يا أخي، إنت أفضل أخ في العالم من بعد أخي.

ضحك الثاني وقال:

- لا سآتي أنا لأقلك بسيارتي، كوني جاهزة.

أنهي المكالمة وهو يضحك، بينما قال أُوغلو الجالس بجانبه:

- لا أصدق ذلك، إنك تساعد من كذبت عليك، هل هذا يعقل؟

- عندما سامحتها المرة السابقة توقفت عن الغرور، ربما عندما أساعدها هذه المرة تتوقف عن الكذب وأكسب أنا الثواب، هيا يا صديقي، استعد لمقابلتها وستكتشف موهبتها بنفسك، إنها حقًا كاذبة، ولكنها ماهرة في القيام بالعديد من المهام .

- أعرف هذا، هل نسيت أني قابلتها في حفل الزفاف من قبل؟

- من الجيد أنك تتذكر ذلك، لأنها بالتأكيد ستتذكرك أيضًا، لذا حضِّر كذبة مقنعة كيف أصبحنا أصدقاء.

اقتضب حاجبيه وقال

-عندما تنتهي هذه القصة سيكون الجميع في جهنم بسبب الكذب.

*****

ياسمين عادت حياتها هادئة ، وقد اعتادت الحياة في إسطنبول، وطردت الوحدة بعيدًا عنها، فعانقت الكتابة من جديد، واحتضنت القلم، وقبلت الدفتر، وتمايل قلمها على الورق يرسم ويرقص من جديد، تتردد في أذنيها كلمات أحمد: "هل تعلمين؟ لقد اشتقت إلى كتاباتها، فهي لم تصدر

أي روايات جديدة منذ عام، لدي شعور بأنها كانت تواجه مشكلات جعلتها تتوقف عن الكتابة، فالكتابة عمل إبداعي يحتاج لنقاء ذهن، بل وقلب، فهي تجمع بين كلمات ممزوجة بمشاعر لو لم تكن نابعة حقًا من قلب كاتب الكلمات لما وصلت لقلب القارئ وأثرت بهِ".

وقد أعدت قراءة كل رواياتها القديمة، ولكن لا يمكنني الارتواء من نهر كلماتها العذبة.

تفكر وتبتسم وهي تكتب، لقد أوشكت على إنهاء الرواية، وسوف أهديها لهُ، لا يمكنني أن أتخيل كيف سيبدو عندما يعلم أنني ياسمين المصري التي يبحث عنها.

سمر في غرفتها تتزين، ثم رن هاتفها أجابت

- ألو كيف حالك أخي لقد كنت مشتاقة لك، وطال الحديث بينهما، وعندما انتهت المكالمة اتجهت إلى غرفة ياسمين، وهي مستمرة في الكتابة والابتسامة لا تفارق وجهها، سمعت باب غرفتها يطرق، ثم دخلت سمر.

وجلست بالقرب من صديقتها ولم تتحدث بل نظرت ل صديقتها فقالت ياسمين:

- هل ستقولين شيئًا ما أم جئتِ للجلوس على الأريكة؟!

أجابت سمر بتردد :

- أنا لم أرَ أخي منذ وقت طويل بسبب عمل كلٍّ منا، وقد اتصل بي منذ قليل يدعوني لزيارته، فقد حصل على إجازة ويتمنى أن نقضي الإجازة كعائلة معًا، وأنا قد بدأت للتو في العمل في الشركة ولا يمكنني الذهاب.

نظرت لها ياسمين وهي لا تفهم ماذا تقصد، ثم قالت: إذن ماذا يمكنني أن أفعل؟

- أود أن أدعوه للمجيء إلى هنا فنقضي الإجازة معًا، ولا تخافي، هو سيمكث في الغرفة التي في حديقة القصر، ومعها مطبخ وحمام، أي أنهُ لن يحتاج للدخول إلى القصر مطلقًا، فقط زوجته وأولاده الصغار هم من سيمكثون معنا في داخل القصر.

- أوه يا سمر كل هذه المقدمة لتطلبي ذلك! أنا سأكون سعيدة بالتعرف إلى زوجة أخيكِ، هيا قومي بدعوته الآن.

ابتسمت سمر وشكرتها وانصرفت

******

لقد اقتربت الفرصة لقتل تلك الملعونة، قالها الرجل ذو الملامح الصارمة وهو يغلق هاتفهُ، فسألهُ مساعدهُ:

- كيف؟

- قمنا بالتجسس على كليهما، وسليم سليمان سيسافر قريبًا إلى ماليزيا، وهي ستكون بمفردها، وسننقض عليها، لقد حان موعد حصاد ما قد كتبت.

ابتسم هو كذئب ماكر، وتبسمت سمر بفرح وهي تستقبل أخاها وزوجتهُ بالأحضان في حديقة القصر، أخاها، وزوجتهُ، وابنتيهما الصغيرتان وخلفهما شاب، نظرت ياسمين وتساءلت إذا كان هذا شقيق سمر، فمن يكون ذاك الشاب؟ ولماذا يتبعهما؟

ثم قالت سمر وهي تنظر إليه وهو قادم من باب الحديقة:

- أليس هذا شقيق زوجتك؟

رد محمد وهو ينظر إليه:

- أجل، إنهُ شقيق زها، اسمهُ حسن، لقد جاء يزورنا بالصدفة، فشعرت بالخجل من تركه، فدعوتهُ ليأتي معنا، ولا تقلقي هو سيظل معي في الغرفة ولن يدخل القصر.

انسحبت ياسمين إلى داخل القصر وهي تحمل إحدى الصغيرتين وتلاعبها، وتلحق بها سمر تحمل الفتاة الأخرى وتمسك بيد زوجة أخيها زها.

تحركت السيارة التي أوصلتهم بعيدًا عن القصر، وفي الاتجاه الآخر اقتربت السيارة المتربصة، وقبعت في أحد الجوانب بسكون كعقرب لا يود من أحد رؤيتهُ حتى يلدغ فريستهُ على حين غفلة.

امتلاء القصر بجو أسري افتقدتهُ ياسمين لوقت طويل، أسعدها وأحزنها في نفس اللحظة، فذكرها بحقيقة وضعها الحالي؛ هي وحيدة بعيدًا عن أسرتها، ظلت تحاول الاندماج معهما وهما يتحدثان بود حتى لا تظن أنها ليست راضية عن وجودهما.

وكان يعجبها ما تراه، ثم قالت: سوف أذهب لأعد بعض الطعام وأعود لكما.

فردت زها:

- لا يا ياسمين، فزوجي أخبرني أنهُ سيعد الطعام اليوم كهدية لسمر.

فقالت سمر: لا، ما كان عليه ذلك، إنهُ يخجلني.
فعادت ياسمين للجلوس قليلًا، ثم همست لصديقتها:

- سمر إني أكتب رواية جديدة، وسوف أذهب لإكمالها.

لمعت عيون سمر وقالت:

- سيكون هذا رائع، أموال جديدة في الطريق بعد انقطاع لمدة عام، هيا تفضلي.

دخلت حجرتها وجلست بجانب النافذة ونظرت منها إلى الحديقة، تستطيع رؤية محمد في غرفة الحديقة من نافذة المطبخ وهو يطهو الطعام، وبجانبه يجلس شقيق زها، لاحظت أن محمدًا ينظر إلى شيء ما بتركيز، على الرغم من أنهُ يعد الطعام.

أخذ ينظر من النافذة بتركيز أكثر، بينما حسن يقول:

- سأذهب للحمام، أين هو؟

فأشار لهُ محمد للحمام وهو لا يزال ينظر من النافذة على شيء ما، دخل حسن الحمام، وخرج محمد من الغرفة وسار في الحديقة يتلفت، ثم سار

في اتجاه باب الحديقة، وخرج ونظر في أحد الاتجاهات وكأنهُ يتأكد من شيء ما، فظهر في كاميرات المراقبة الخاصة بهؤلاء الأشباح، فقال أحدهم:

- هل تعتقد أنهُ لاحظنا؟

رد الثاني:

- لا أعرف، ولكن انتظر لحظة، لو سار في اتجاهنا إذن فقد لاحظنا سنهرب.

وقف محمد خارج باب الحديقة، وقبل أن يخطو خطوة واحدة سمع صوت حسن يصيح:

- محمد الطعام سيحترق!

فاختل توازنهُ ونسي ما قد خرج من أجله، وعاد بسرعة للطعام، بالفعل كان على وشك الاحتراق، لقد أطفأ حسن عيون البوتاجاز، وأخذ محمد ينقل الطعام إلى إناء آخر، بينما يقول حسن:

- لماذا تركت الطعام؟

فنظر محمد من النافذة مرة ثانية ليتحقق مما كان يرى فلم يرَ شيئًا، فقال:

- ظننت أن هناك سيارة بالقرب من القصر منذ الصباح.

تناول الجميع الطعام وسط سعادة أسرية، وقالت ياسمين:

- لا أبالغ إذا قلت أنهُ أفضل طاهٍ، يجب عليه أن يفتتح مطعمهُ الخاص بهِ.

ردت سمر:

- لن نعود لذلك الحديث عن الاستثمار والكفاح، فلدي حديث أجمل من هذا بكثير.

ردت زها:

- ما هو؟

- سوف نخرج جميعًا في الغد في نزهة، فأنا أحقق تقدمًا في عملي في الشركة بشكل كبير، وقد زاد مدير الشركة أُوغلو من راتبي، ولذا أود الاحتفال.

ردت ياسمين:

- أهنئكِ على التقدم، ولا أهنئكِ على الاحتفال، أفكلما كسبتِ مالًا أكثر تقومين بإنفاقه؟! هذا خاطئ، لن تكوني ثرية بهذه الطريقة مطلقًا.

ردت سمر ممازحة

- إذا كانت هذه حجتكِ لكيلا تخرجي معنا في النزهة فهي مرفوضة تمامًا.

- لن أستطيع الخروج معكم، كما أنني أخجل من.. قطعت حديثها حتى لا تحرج زها، ثم أكملت:

- لدي عمل أقوم بهِ هنا.

****

تراقب الغربان القصر وقد ابتعدت قليلًا، واتصل أحدهم بزعيمه الذي أجاب بتلهف وقال: هل تمت المهمة وثقبتكم قلبها؟

فرد الرجل

- سيدي لقد أخبرتنا أنهما فتاتان وحيدتان، وعندما وصلنا للقصر وجدنا هناك سيدة، وبنتين صغيرتين، ورجلين بالحديقة يحرسان القصر، المعلومات كلها خاطئة.

رد الثاني بانزعاج:

- هذا غير حقيقي، فكل أسرتها في مصر، ربما هؤلاء ضيوف.

- كيف يكونون ضيوف؟ منذ أن جئنا نراقبهم من أسبوع وهم متواجدون معها.

فرد الرجل ذو الملامح الصارمة:

- إذن اتبعوها عندما تخرج بمفردها.

- لا تخرج بمفردها مطلقًا، تخرج معهم وتعود معهم.

ارتفع صوت الرجل قائلا:

- ابحث عن طريقة أيها الغبي، وقام بإنهاء المكالمة بعنف.

****

سمر وياسمين تتحدثان في الغرفة تتناقشان، وتظهرا من نافذة حجرتهما، والغرباء يراقبون بكاميراتهم من السيارة، ومحمد ينظر من نافذة المطبخ، ثم يحوم في الحديقة وفي عيونه الشك.

بعد قليل عاد لغرفتهُ وتناول عصاة مصنوعة من حديد وخرج، فلفت هذا انتباه حسن الذي خرج خلفهُ مسرعا، فالأمر يدل على أنهُ ذاهب لضرب أو تهديد أحدهم.

سار محمد بخطى واسعة خارج القصر وهو ينظر من بعيد إلى تلك السيارة التي يشك أنهُ رآها من قبل في نهاية الطريق المؤدي للقصر، سارع في خطواته في اتجاه السيارة، وفجأة سمع صوت صراخ يأتي من الاتجاه الآخر.

فلتفت ليرى ابنتهُ في الشارع يجري خلفها كلب أحد الجيران، فغير مسارهُ بسرعة وعاد وإلتقط طفلتهُ وهي على بعد شبر واحد من الكلب، وهدئ من روعها، وهي تبكي وترتجف، ووصل إليهما حسن وقال:

- كنت أتبعك وأنت تسير، فلم أنتبه لتلك الصغيرة وهي تخرج من باب القصر.

فتذكر محمد ما كان خرج من أجله فنظر.. فلم يجد السيارة، فعض على شفتيه ودار حول القصر من كل الجوانب، بل وفي المنطقة القريبة فلم يجدها.

سألهُ حسن ثانية وهو متعجب:

- عن أي شيء تبحث؟

حك عيونهُ بيديه وقال:

- لا شيء، يبدو أنني أحتاج للراحة، على الرغم من أنني لا زلت في إجازة!

بينما تجلس هي في غرفتها وتقف سمر فوق رأسها وتقول:

- أرجوكِ فقط اخرجي معنا هذه النزهة، فهي الأخيرة.

- سمر أنتِ تعرفين أنني أخجل من الرجال الغرباء.

- وإن يكن نحن نجلس معًا كنساء، وهما سيجلسان على منضدة أخرى كما كنا نفعل.

- أشعر أنني لا أنتمي لهذه الاسرة وليس لي البقاء بينهم.

ردت سمر وهى تنظر لها بحب

- عندما أتركِكِ وحيدة أشعر كأني تركت طفلتي، أرجوكِ اخرجي معنا فقط هذه المرة.

تحت إلحاح صديقتها لا تملك سوى الموافقة، وخرجت معهم، واتجهوا إلى أحد الحدائق، حيث تناولوا غداءهم كلٌّ منهم على حدة.

وخرج هو من شركته شارد الذهن يفكر: إلى متى سأظل أشعر بالوحدة كلما توقفت عن رؤيتها؟ هل أصبحَتْ جزءًا من حياتي دون أن أدري؟ ثم راوغ نفسهُ قائلًا:

- هذا طبيعي؛ لأنني اعتبرها بمثابة شقيقتي.

أمسك هاتفهُ وطلبها، ردت:

- ألو.

- أنا آسف لأنني أتصل وأزعجكِ، ولكن أردت فقط الاطمئنان عليكِ.

- أنا بخير، شكرًا على اتصالك.

- هل توقفتِ عن الخروج؟ فلم تعودي تطلبيني لأقلك منذ أسبوع.

ابتسمت وقالت:

- اخرج مع سمر، إننا في حديقة الحي الذي نعيش بهِ.

رد بابتسامة

- أعرف هذه الحديقة الجميلة، أتمنى لكِ قضاء وقت ممتع.

كان قد وصل بسيارته إلى منتصف الطريق، وقف بسيارته في الطريق وهو يطرق برفق بأصابعه على عجلة القيادة ويفكر، ثم أدار سيارتهُ إلى الاتجاه الآخر، وفي دقائق وصل إلى الحديقة.

بالقرب منها محل للزهور، ذهب إليه واشترى باقة من الزهور الحمراء، تناول الزهور من البائع، وتوقف للحظات وهو ينظر لها ويفكر، ثم عاد لسيارته والتقط دفترًا صغيرًا وكتب في إحدى صفحاته (التقيت بكِ لمرات معدودة، لم يتعدَ كل لقاء منها عدة دقائق، ولكن روحي تألفكِ وكأنني أعرفكِ منذ سنوات، فهلا تسمحي لي بمعرفة أي فرد من عائلتك

لأطلب منهُ ما يطلبهُ أي شاب يُحب فتاة ويرغب منها أن تكون زوجةً لهُ؟)، ثم وضع الورقة بداخل باقة الزهور، وحمل الزهور وسار وهو في قمة السعادة.

بعد أن أنهى الجميع غداءهُ ذهبت سمر تلتقط صورًا لنفسها في الحديقة، ثم اتبعها محمد، ثم زوجتهُ والأطفال، وأخذوا يلتقطون صورًا، وظلت ياسمين على الطاولة بمفردها، وحسن على الطاولة الأخرى بمفرده أيضًا يفكر:

- ليس من الذوق تركها بمفردها، فذهب إليها وقال:

- هل يمكنني التحدث معكِ قليلًا؟

ارتبكت لمجرد رؤيتهُ، فلم ترد، فأعاد هو كلماتهُ، فتلعثمت في الحديث ولم تجبهُ بنعم أو بلا، بل نظرت في اتجاه سمر.

فأضاف هو قائلًا:

- لا أقصد مضايقتكِ، أنا أعتذر، واستدار ليغادر، وهي تفكر قد يظن أنني مغرورة، فقالت:

- مهلًا، لا تظن أنني متكبرة، أنا فقط من نفس الثقافة التي جئت منها، وقفت من مقعدها وخطت قليلًا أبعد عن الطاولة وهي تقول كلماتها.

استدار لها وقال :

- أجل، أنا أفهم ذلك، لا عليكِ، كنت أود فقط أن أقول أن رواياتك رائعة، فأنا كنت أقرؤها عندما تحضرها أختي زها أو زوجها.

ردت بخجل

- أشكرك على هذا الثناء الجميل.

- لدي إحدى روايتك هنا، هل تشرفيني بتوقيعك لها ؟

استمر الحديث بينهما لدقائق وهما واقفين.

سليم يبحث عنها في الحديقة: أين هي؟ أين هي؟ زوجتي المستقبلية أين هي؟

ظل يبحث عنها حتى رأى سمر مع شقيقها، فتبسم عندما تأكد انهنفس الطباخ الذي قابلهُ في الفندق، إذن ياسمين قريبة من هنا، دار بعيونه يبحث عنها ثم توقفت عيونه وهو ينظر مصدوم لذلك الشاب الذي يتحدث معها.

تغير لون وجهه ولا يستطيع أن يصدق عيونهُ، تجمد في مكانه للحظات كصنم، ثم كسر صمتهُ بغضب ساخط وألقى بالزهور في أقرب سلة مهملات وغادر الحديقة دون أن ينظر خلفهُ، ركب سيارتهُ وقام بوضع رقمها في قائمة الرفض هي وصديقتها، ثم أغلق هاتفهُ وعاد لقصره، يشعر بغضب ممزوج بخذلان وحزن.

على قدر الحب يكون الألم عند الجرح ممن أحبابنا، وعلى قدر الثقة تكون الكسرة أعنف وأقسى فيمن وثقنا بهِ وخذلنا.

الفصل الثامن

عقلهُ يفكر: كيف أنسى ما قد رأيت؟ وكيف أخرجها من حياتي كما أدخلتها؟ ظل صامتًا بدون حراك، ثم أمسك بدفتره ينظر إلى رقم أحد الصحفيين ويحاول البحث عن ياسمين المصري، وعاد يرسل لها الرسائل من جديد.

لم يتناول غدائهُ، أو عشاءهُ، أو إفطارهُ، وذهب إلى شركته ينهي أعمالهُ بدون أن يتحدث، وعندما وصل لهُ أُوغلو رأى على وجهه ما يخفي، فقال:

- ماذا هناك يا صديقي؟

نظر له الآخر بجفاء وقال:

- أنت تأتي إلى هنا كثيرًا، ماذا عن فرع الشركة الثاني الذي تديرهُ؟

- إنهُ يسير على أفضل حال، وسمر رائعة في توظيف الأشخاص في أماكنهم و..

فقاطعه سليم قائلًا:

- سمر لا زالت مبتدئة في الإدارة، ولا يجب عليك الاعتماد عليها بهذا الشكل، حتى وإن أظهرت براعة.

فهم أوغلوا الآن أنهُ يواجه مشكلة في حياته وليس في العمل، فغير الحديث إلى السفر القادم الذي يجهزان لهُ، وتابع الاثنان النقاش عن العمل.

وعندما كانا في طريقهما للخروج قال سليم:

- إنك تؤدي كل المهام بشكل رائع وصديق وفي، ولكنك فشلت في مهمة وحيدة لم تنجزها حتى الآن.

- ما هي؟

- لم تعثر على ياسمين المصري.

- لا عليك يا صديقي، سوف استمر حتى أوقع بسمر فتخبرني عنها.

ضحك سليم بسخرية وقال:

- سمر الكاذبة توقع بمئة شخص ولا تقع.

- لا أنا سأوقع بها لأنها تثق بي، ولا تعرف أنني أعرف حقيقتها.

لاحظ إعجاب صديقهُ بها الذي ظل يتحدث عنها، فقال :

- أحذر منها، انها كاذبة، وقد تكذب في مشاعرها أيضًا، كما إنها ترغب في الزواج من شخص ثري، إنها تحب المال لا الرجال.

لم يعجبهُ كلام سليم لأنهُ بدأ يفكر، بينما قلبهُ يتحدث، فقال:

- لماذا أنت غاضب منها هكذا؟ لقد كنت تعتبرها شقيقتك هي وصديقتها.

رد بحزن واضح في صوته وكأن صوت القلب هو الذي يتحدث، وكأن المشاعر هي التي تنطق وقال:

- تبدو بريئة خجولةُ، وقد رأيتها مع شاب بالأمس في الحديقة تقف معهُ وتتحدث وتبتسم.

انفجر أُوغلو بالضحك فنظر لهُ سليم بغضب، فأخرج أوغلوا هاتفهُ وهو يشير لهُ ويفتحهُ قائلا:

- هذا الشاب، أليس كذلك؟

نظر سليم للصورة وقال بدهشة:

- إنهُ هو كيف عرفت؟ وما الذي جاء بصورته لهاتفك؟

- إنه شقيق زوجة أخ سمر، وليس بينهما أي شيء.

وتابع توضيح الأمر قائلا:

- لقد ذهبت بالأمس لنفس الحديقة لأتعرف على شقيق سمر، وحكت سمر لي ما حدث مع هذا الشاب، انظر لقد كانت سمر تتوقع ردة فعل ياسمين عندما ذهب ليتحدث معهما وقامت بتصويرهما، انظر كيف تبدو ياسمين خجلة وهي تتصنع الابتسامة للحظات، ثم هربت منهُ وكأنهُ مصاص دماء.

عانقت السكينة قلبه وصافحهُ الهدوء من جديد، وأخذ يفكر في حقيقة مشاعرهِ تجاهها، فقال صديقه:

- إذن ياسمين تعجبك وتغار عليها؟

رد وهو يفكر بعيونه:

- ما حدث هذا جعلني أعيد التفكير في حقيقة مشاعري تجاهها، فهي ليست مستقرة، ولا أستطيع تمييزها، سوف أبتعد لفترة عنها حتى أتعرف على حقيقة مشاعري المختلطة المشوشة تجاهها وتجاه ياسمين المصري.

رد أُوغلو:

- أعتقد أن فترة بقائك في ماليزيا ستعطيك ذلك الوقت الذي تحتاجه.

هز الثاني رأسه قائلًا:

- أجل هذا سيكون كافٍ.

كان عقلها هي لا يكف عن التفكير بهِ، أصبح يجول في خاطرها كما يحب، وتتحدث مع قلبها الذي يصغي، وتقول:

- ما عشقتُ الممالكَ يومًا إلا عندما أحببتُكَ، فأردتُ امتلاكَ قلبك كأنثى، لقد عشقَ كلماتي ولم يرني، فهل سيعشق صاحبة الكلمات إذا رآها؟

هل سيراني فقط كأنثى ويتمنى مني أن أتقاسم الحياة معهُ للأبد وأكون ملكة مملكتهُ للأبد؟

قد تعشق العين من ترى، وما للقلب من عيون يرى بها، فهل سيدلهُ قلبهُ على من أحب؟

لقد بنيت مملكة من الكلمات فأذابها من دون أن ينطق، وشيدت حولي حصنًا من الانعزال عن كل الرجال فاخترق الحصن بدون أن يطرق.

******

تمر الأيام وهي تجلس مع سمر ولا تتحدث إلا عنهُ، وهو يجلس مع صديقه ولا يتحدث إلا عنها.

نظر كلٌّ منهما للآخر، وقال أُوغلو:

- إذن متى سنتحدث بصراحة مع أنفسنا كما تتحدث أفعالنا مع هاتين الفتاتين؟

ابتسم سليم ابتسامة حالمة وهو ينظر إلى الهدية التي أحضرتها لهُ ياسمين عندما أخبرهما أنهُ اشترى سيارة وقال:

- كنت ألاحق سمر لأنها صديقة ياسمين المصري، فإذ بي أقع في حب صديقتها، ثم نظر لصاحبه وقال:

- وماذا عنك؟

رد الآخر وهو يشير لصديقه بيده:

- إذا كنت ستتزوج ياسمين إذن فلا بد لي من الزواج من سمر لكي تظل الصديقتين بالقرب من بعضهما ولا نفرق بينهما، أليس كذلك؟

ابتسم سليم وهو يقول:

- هل ستتزوج سمر الكاذبة؟

- لكل منا عيوبنا، وإذا أحببنا حقًا فإننا نقبل من نحب على عيوبه.

- محق في كلماتك يا صديقي، وليس هناك إنسان كامل.

- إذن سنطلبهما للزواج معًا عند عودتنا من ماليزيا.

وقف أمام صديقهُ، وقال وهو يفتح ذراعيهِ بسعادة والابتسامة تملأ وجههُ:

- سوف أطلبها للزواج، وإذا واقفت سأعلم إذن أنها أحبتني كإنسان عادي وليس رجل أعمال ثري، وعندها سأخبرها حقيقة من أكون.

ينظر لهُ صديقهُ في ذهول ويقول:

- تأكد من مشاعرك، هل نسيت ياسمين المصري التي تبحث عنها منذ أربعة أعوام.

فيرد هو والابتسامة على وجههِ:

- قلبي لا يستطيع التفرقة بينهما، وكأن ياسمين المصري البعيدة هناك هي كهذه الفتاة البريئة العفيفة، ربما رزقني الله بهذه البريئة، لا يمكنني أن أتخيل ردة فعلها عندما تعلم أنني سليم سليمان.

- هذا صحيح، سنطلبهما للزواج من محمد شقيق سمر، فنحن لا نعرف حتى الآن أي فرد من عائلتها، فهي في تركيا بمفردها.

- حسنًا، ليكون الأمر بإذن الله بعد عودتنا.

تراقب سمر ياسمين عن قرب فتجدها قد تغيرت بشكل ملفت، وكل شيء قد تغيرت إليه يشير إلى اتجاه شيء واحد فقط.

"سمر أود شراء ملابس جديدة، سمر ما هو اللون الأجمل هذا أم ذاك؟ سمر هل تعتقدين أنني مميزة كفتاة كتميزي ككاتبة؟ سمر هل تشعرين بالوحدة أو أن هناك شخصًا يجب أن يكون بجوارك؟ سمر هل فكرتِ بالزواج من قبل بدون فكرة الثراء؟ سمر ما الذي تتمنين أن يكون بزوجك غير المال؟"

سمر فهمت صديقتها أنها تعيش مرحلة اختيار شريك الحياة ما بين ما تتمتع بهِ وما يتمتع بهِ، هي لا تدرك بعد أن قلبها اتخذ القرار واستمال العقل، فلا بد للعقل من وقت حتى يدرك قرارات القلب، وتحتاج إلى وقت أطول لتدرك هي ذلك بشكل واضح يمكن مناقشته.

كانت هي جالسةً تتزين أمام المرآة، فقالت لها سمر:

- أخبريني يا ياسمين، هل تفكرين في الزواج من هذا السائق حقًا؟

اندهشت من السؤال وتوقفت قليلًا عن التزين، ثم قالت:

- كيف توصلتِ إلى هذه النتيجة سريعًا؟

فردت سمر وقد ظهر على وجهها بعض العبوس:

- لأنني أعرفكِ منذ أربعة عشر عامًا، لا تتبعي سوى الصراط المستقيم.

تهلل وجه ياسمين بابتسامة جميلة وهي تقول:

- وهل هناك أجمل من الصراط المستقيم، هو جاء يبحث عني ليتزوجني، لم يأتِ ليصادقني ثم يتركني مفطورة القلب ولا ليستغلني، وقد راقبته عن قرب، هو إنسان جيد، أجل سأتزوجه.

صمتت سمر بعد هذا الحديث الصادق كصاحبته، هي تعلم أن صديقتها قد اتخذت القرار، فلا فائدة من النقاش، ولكنها لم تكف عن المحاولة لتثنيها عن الأمر، فقالت:

- يمكنكِ الزواج من شخص ثري إذا أردتِ.

- إذا كنت أمتلك المال لماذا أبحث عن المال في زوجي المستقبلي؟!

عندما نتزوج يجب أن نبحث عما ينقصنا ويكون في الشخص الآخر، ولا نبحث عن نفس الشيء الذي لدينا.

- ما الذي وجدته بهِ يجعلكِ ترغبين في الزواج منهُ؟

- وجدت بهِ الخلق الحسن "إذا جاءكم من ترضون خلقهُ ودينهُ فزوجوه، فإن لم تفعلوا تكن فتنة في الأرض".

- هل تعلمين يا ياسمين البريئة الكثير من الناس يستخدمون ما قد ذكرتِ للتو لاستغلال الآخرين فحسب، ألم يجد صاحب الخلق والدين فتاة ذات خلق ودين من نفس مستواه المادي يتزوجها؟ لماذا ترك كل الفتيات اللاتي من نفس مستواه ويذهب للغنية ليقول هذا الكلام؟

نظرت لها وقالت: قولك صحيح، ومنطقي، وصائب في الكثير من الناس، ولكن ليس أحمد، فهو لا يعلم أنني ثرية، هل نسيتِ أنهُ لا يعلم من أكون، هو يعرفني فقط كفتاة، بلا مال، بلا شهرة، أو أي نجاح.

- ياسمين إذن هذا قرارك النهائي؟

ترغب أن تقول نعم، ولكنها تود أن تثبت لصديقتها صحة قرارها وأنهُ يستحق فتقول:

- ذو الخلق إذا أراد الفتاة طلبها للزواج، وهو يبحث عني منذ زمن ليتزوجني، وقد راقبتهُ كل هذا الوقت لأتأكد من حسن خلقه، واعتبرت هذه هي فترة الخطوبة لأتعرف عليه، وأنا سعيدة بالنتيجة التي توصلت لها، سأخبرهُ بحقيقتي بعد أن يطلبني للزواج لأتأكد أنهُ أحبني كفتاة عادية، وليس لأني مشهورة أو ناجحة في عملي.

اقتربت من ياسمين واحتضنتها وهي تقول:

- أتمنى لكِ السعادة.

فقالت ياسمين:

- أحمد كان يتحدث عن صديقه أُوغلو، ويذكر أنهُ أوشك على الزواج، وأن هناك فتاة في الشركة يرغب في الزواج منها، فهل تعلمين من هي؟

انتفضت سمر وهي تقول:

- لا أنا لا أعرفها، من تكون؟

ضحكت ياسمين وهي تقول:

- اهدئي، أنا فقط أردت أن أجعلكِ تتحدثين بصراحة، إذن أنتِ موافقة على الزواج منهُ.

ردت باهتمام:

- وهل طلب هو ذلك؟

- لم يطلب بعد، ولكن أحمد يكثر من حديث صديقه عنكِ، وكأنهُ يقصد إيصال الرسالة، يحق لهُ القلق، فأنتِ ترغبين في رجل ثري، أليس كذلك؟

قالت بخجل:

- لا لم يعد شرطًا، ربما أصبح أنا ثرية ويصبح لا مشكلة لدي في المال.

تتبسم ياسمين بطيبة وهي تقول:

- لقد تنازلتِ عن شرطكِ الرئيسي.

ردت سمر بصوت هادئ يسمع بهِ صوت القلب:

- أحدهم يستحق أن تتنازلي من أجله كما فعلتِ مع أحمد.

ثم فركت يديها بقوة وهي تقول:

- والمشكلة الآن أن كل ما يعرفهُ عني كذبًا، كيف سأصحح كل هذه الأكاذيب الآن؟

اقتربت منها ياسمين وهي تقول:

- لو أحبكِ حقًا سيقبلكِ على عيبكِ كما فعلتِ الآن وتنازلتِ عن شرطكِ الرئيسي من أجله.

نظرت سمر لها وكأنها تبحث عن حل ما وقالت:

- ماذا لو كان يرغب في الزواج مني اعتقادًا منهُ أنني ثرية وصاحبة هذا القصر؟

ردت ياسمين بهدوء وبنبرة صوت رقيقة وطيبة:

- لقد ارتكبتِ خطأً بكذبكِ، وقد حذرتكِ، والآن عليكِ تصحيح هذا الخطأ، مَهّدي لهُ من الآن حتى يعرف الحقيقة، وعندها ستعرفين حقيقتهُ هو، هل يريدك أم يريد المال؟

كل إنسان وحيد، فالوحدة شريكتهُ فقط حتى يصل الحبيب الذي يسعى لهُ فيبدد وحدتهُ.

نظن أننا نعرف أنفسنا جيدًا، والحقيقة أن المقربين منا يعلموننا أكثر منا؛ لأننا نراقب الآخرين أكثر من مراقبتنا لأنفسنا، فننسى أخطاءنا حتى لو ارتكبناها منذ لحظة واحدة، ونتذكر أخطاء الآخرين منذ سنوات، لا نرى عيوبنا ونتقن فن إبراز عيوب الآخرين، لا نحصي النعم التي لدينا ونحسد كل فتات نعم الآخرين، وفي النهاية نكون غرباء عن أنفسنا وأعداءً للآخرين.

إذا أردت أن تعرف نعمك التي لا تراها فاسأل الحاسدين، وإذا أردت أن تعرف عيوبك فاسأل الكارهين، سيكونون مسرورين بإخبارك بها، وإذا أردت أن تعلم من أنت فاسأل أقرب المقربين منك.

تتصل ياسمين بوالدتها فتجيبها سارة بابتسامة كبيرة:

- شقيقتي لم نتحدث منذ وقت، كيف حالك؟

وتنضم هاجر لهن، ويتحدث الثلاثة لبعض الوقت، ثم تقول ياسمين:

- أين أمي؟

أجابت سارة:

- إنها في المطبخ تطهو طعامها المفضل.

- أريد أن أتحدث معها في موضوع مهم؟

ردت هاجر:

- لن تترك الطعام، لو تركتهُ سيحترق، هيا حدثينا عن ذلك الموضوع حتى تنهي أمي الطعام.

بدا عليها التردد، ثم قالت: هناك شخص يود أن يتقدم لخطبتي وأنا موافقة.

تداخلت كلمات هاجر مع سارة في أسئلتهما معًا! لا تعرف من تسمع وكيف تجيب.

- حقًا من هو؟ أهو تركي؟ هل هو وسيم؟ هيَّا نريد أن نرى صورتهُ، لماذا لا تجيبنا؟ هيا أجيبي!

قفزت والدتها فجأة أمام شاشة اللاب وهي تقول:

- عريس! هيَّا أفسحا لي، أريد أن أتحدث معها، وجلست أمام اللاب وهي تمسك في يدها اليسرى بمغرفة الطعام وهي تقول:

- هيا حدثيني عن ذلك العريس.

- إنهُ يا أمي إنسان رائع، ومهذب، ويبحث عني منذ زمن ليتزوجني، وأنا موافقة على الزواج منهُ.

- لم تخبريني ماذا يعمل؟

- يعمل سائقًا على سيارته التي يملكها.

نظرت لها والدتها بغضب وهي تحدق في الشاشة وتقول:

- سائق! هل ستتزوجين سائقًا بعد كل ذلك.

ظهر الغضب على وجه ياسمين واحمر حمرة الغضب الهائج وليس حمرة الخجل الهادئ وهي تقول:

- وما المشكلة من الزواج من سائق؟

- لا يناسبكِ، ولن أوافق على زواجكِ منهُ.

غضبت ياسمين أكثر وقالت:

- ألم تكوني موافقة على تزويجي من رجل متزوج وأنا في الجامعة، وكنت سأقضي ما بقي من حياتي مع نصف زوج بنصف حبه، ونصف وقته، ونصف اهتمامه، وأكون زوجة احتياطية لامرأة أخرى؟ والآن ترفضين شابًا يحبني ويرغب في تأسيس أسرة، وسأكون حبهُ وزوجتهُ الوحيدة!

ردت والدتها بغضب:

- كنت سأزوجكِ من ذلك الرجل لأنني وقتها لم أكن أمتلك ثمن تجهيزك بجهاز العروسة للزواج، وهو كان سيتزوجكِ من دون جهاز، أما الآن فأنتِ تستطيعين تجهيز نفسك والزواج ممن هو أفضل منهُ.

- أمي أنا أحترم رأيكِ، ولكن هذه أيضًا حياتي، ويحق لي اختيار شريك حياتي، فأنا لست صغيرة.

صرخت سارة:

- أمي، لقد احترق الطعام، فغادرت والدتها الجلسة بسرعة، بينما اقتربت هاجر وهي تقول:

- سنتحدث معها عندما تهدأ وسنحاول إقناعها.

وقالت سارة:

- هيا حدثينا عنهُ، ما الذي يجعلكِ متمسكة بهِ إلى هذا الحد؟

راق لها هذا السؤال، وأخذت تحكي لهما عنهُ بصوت عذب وكأنها تحكي إحدى رواياتها الرومانسية، وشقيقتاها تزداد حدقة عيونها وتتسع وتزين علامات الإعجاب وجهيهما، ويبتسمان ويقتربان من الشاشة أكثر وكأنهما تشاهدان صورتهُ في عيونها وهي تصفهُ بإعجاب.

أما هو، ذلك الفارس الذي تحكي عنهُ عندما تحدث مع والده في الأمر كان ردهُ.

- ماذا تقول يا سليم؟ هل ستتزوج من فتاة لا تعرف عائلتها؟ وليس بها أي شيء مميز، وأنت من تتمناك أي فتاة في تركيا أو مصر!

- ولكني يا أبي أتمنى هذه الفتاة وليس أي فتاة أخرى.

قالها وهو ينظر بعطف لوالده ليستعطفهُ للموافقة، فرد والدهُ:

- ألم تكن ترغب في الزواج من ياسمين المصري؟ إنها أفضل، فهي مميزة.

- أبي، لقد بحثت عن ياسمين المصري كثيرًا، وعندما قابلت ياسمين شعرت أنني عثرت عليها، أرجوك يا أبي، لا ترفض زواجي منها، فأنا أبحث عن زوجة وليس عن منصب أو شهرة لأتباهى بها أمام الناس.

سار والدهُ في اتجاه الباب وهو غير راضٍ، ثم قال:

- سأفكر في الأمر، وأنت أعد التفكير بهِ.

تبعهُ سليم وهو يسير قائلًا:

- أبي لقد فكرت بعقلي، ثم استمعت لصوت قلبي، وسأطلبها للزواج بعد عودتي من ماليزيا، أعتقد أن هذه الأيام القليلة ستكون فاصلة في تحديد حقيقة مشاعري وقراري.

لم يرد والدهُ، وكان صمتهُ هو رد في حد ذاته، رد بعدم الرضى عما يسمع.

تلك العيون الحمراء في الظلام تراقب، بل وأصبحت تتجسس على ما يدور بداخل قصر ياسمين من محادثات بعد أن زرعوا أجهزة تجسس في القصر أثناء خروج الجميع للتنزه، ليعرفوا تحركاتها بعد أن يئسوا من الإيقاع بها خارج القصر، فسمعوا سمر تقول:

- أخي والجميع سيغادر في صباح الغد.

نظرت لها ياسمين، وقالت:

- هل تصدقينني لو أخبرتكِ أنني اعتدت عليهم كعائلتي؟ سأشعر بالوحدة عندما يرحلون.

وهنا نظر أولئك المجرمون لبعضهم البعض وقال أحدهم:

- لقد اقترب أجلك أيتها الملعونة.

وتستمر سمر في الحديث، فتقول لها ياسمين:

- لماذا أنتِ مشغولة أكثر هذه الأيام؟

- لأن أُوغلو سافر لماليزيا من أجل عمل ما لم يخبرني ما هو، وترك مسؤولية الشركة كلها على عاتقي، ولكني أقوم بالأمر على نحو جيد على الرغم من أن الشركة شركة ناشئة وجديدة.

ثم لوحت لصديقتها بيدها بودٍ وهي تقول:

- إلى اللقاء، قد أتأخر اليوم إلى المساء في العمل.

يدور في عقلها عدة أسئلة، لماذا لم يخبرها أُوغلو عن سبب سفره؟ ولماذا لم يتصل بي أحمد رغم انقطاعي عنهُ منذ آخر مكالمة؟ أما زال قلبهُ لم يخبرهُ من أكون؟ وإلى متى سأظل بعيدة عن عائلتي؟ وإلى متى أظل أسأل هذه الأسئلة؟

همت بالوقوف لتخرج من غرفتها، فتحت الباب فوجدت شخصًا ما يلبس قناعًا أسود ويهجم عليها، فتصرخ مذعورة وتحاول الهرب، ولكن أين تهرب؟ فاصطدمت بحائط الغرفة، فيقف ذلك المقنع ويزيل هذا الشخص قناعهُ ويضحك ويقول:

- إنها أنا زها، لا تخافي كنت أمزح معكِ.

تجلس ياسمين وتضع يدها على قلبها وهي تلتقط أنفاسها، وتقول:

- "يا شيخة حرام عليكِ وقعتي قلبي".

فتجلس زها بجانبها وتقول:

- أرغب منكِ في خدمة بسيطة كما يقولون بالمصري، وأرجوكِ لا ترفضي.

- ما هي؟

- أود شراء فستان لسمر كهدية، فأنا وزوجي اتفقنا أن نقيم لها حفل عيد ميلاد كمفاجأة لها هذا العام، وهي ستتأخر اليوم بسبب أعمالها، وسيجهز محمد الطعام والقصر في غيابها ليكون الأمر مفاجأة لها.

تترد ياسمين وهي تقول:

- سمر دائمًا هي من تختار لي الملابس، فذوقها رائع.

- إذن فأنتِ تعلمين ذوقها، كما أنكِ في نفس جسمها مما يجعلنا نختار الفستان على مقاسك، وسيكون مناسبًا لها.

وقفت ياسمين وهي تقول:

- سيكون هذا رائعًا، وسأختار لها أنا أيضًا فستانًا هدية، فهي تحب الملابس.

فاتجهت زها إلى باب الغرفة وهي تقول:

- سأخبر محمدًا أن يجهز السيارة ليقلنا إلى المول بالسيارة، وأنتِ تجهزي للخروج.

بينما يقول الذئب لباقي الذئاب:

- بقي يوم واحد، وقبل أن يأتي سواد اليوم التالي سنكون قد أرسلنا روحها مع هذا السواد.

زها وياسمين ظلتا تتنقلان من محل إلى آخر طوال اليوم، حتى قالت ياسمين:

- لم أكن أعلم أن سمر تتعب في اختيار الملابس بهذه الطريقة، فنحن منذ الصباح ونحن نبحث عن فستان ليلائم ذوقها.

فترد عليها زها ضاحكة وهي تقول:

- لا، هذا الأمر يروق لها، فالشراء أمر ممتع لنا نحن النساء، ومرهق لجيوب الرجال.

عادتا في نهاية اليوم بثلاثة فساتين، وهمَّت ياسمين بالدخول من باب القصر، فقالت لها زها:

- لا يا ياسمين، سوف ندخل من الباب الخلفي، حتى إذا كانت سمر عادت لا تكتشف الأمر.

تبعتها ياسمين ودخلتا من الباب الخلفي، وصعدتا والنور منطفئ إلى الطابق الثاني، وبعد أن وصلا إلى غرفة ياسمين قالت لها زها:

- هيَّا ارتدي ذلك الفستان أريد رؤيتهُ عليكِ.

- لماذا؟! قالتها ياسمين بتعجب.

ردت الأخرى:

- أريد فقط أن أتأكد أنهُ يناسبها، هيَّا أرجوكِ هذا آخر شيء أطلبهُ منكِ قبل مغادرتي.

دخلت ياسمين إلى الحمام وارتدت الفستان، وعندما خرجت وجدت زها ترتدي الفستان الآخر ومتزينة، وقالت لها عند رؤيتها: كم يبدو جميلًا عليكِ، هيا سأضع لكِ بعض المكياج، فسمر في الطريق ونود استقبالها.

لم تقتنع ياسمين، ولكنها سايرت زها، وجلست وزينتها، ثم رن الهاتف فقالت زها:

- إنها العلامة، إذن سمر على باب القصر هيا بنا.

أمسكت بها ونزلتا إلى الطابق السفلي والنور منطفئ، ولا تكاد ياسمين ترى حتى درجات السلم الذي تهبط عليه، حتى وصلت إلى منتصف القاعة، فأضاء النور فجأة ورأت حولها والدتها، وسارة، وهاجر، وسمر، وابنتا زها، صاحت بفرح:

- أمي أمي.

وتنبهر أكثر وهي تنظر غير مصدقة ما ترى، ويسرع الجميع في احتضانها؛ والدتها، وهاجر، وسارة، والجميع يلتف حولها مرتدين فساتين جميلة، وتعانقن، وتمسكت أيديهن حولها كوردة قد تفتحت بأوراقها الرقيقة في تناغم وحب.

أنستها فرحة المفاجأة أن تسأل كيف حدث هذا؟

وظلت تحتضن الجميع حتى قالت لها سمر:

- ما رأيكِ في تلك المفاجأة؟ لقد أعددتها لكِ بمهارة وأحضرت لكِ أسرتكِ من مصر، فعائلتي ستغادر هذا المساء، فأحضرت لكِ عائلتك حتى لا تكوني وحيدة.

تقترب منها ياسمين وهي تنظر بامتنان، تحتضنها بحب وهي تقول:

- أجمل مفاجأة لي في حياتي، لا أعرف كيف أشكركِ عليها، وكيف خططتِ لكل ذلك؟

تمسك سمر بيدها وتقول:

- دعكِ من هذا الكلام، اليوم عيد ميلادك، ولكننا لن نحتفل بعيد ميلادك، بل سنحتفل بمرور أربعة عشر عامًا على صداقتنا، وسنحتفل بلم شمل العائلة من جديد، وانظري هناك.

نظرت ياسمين فوجدت سفرة مملوءة بالأطعمة المزينة والحلويات، وتتوسطها كعكة جميلة كُتب في منتصفها (صديقتي أجمل هدايا القدر)،

وعلى جوانب الكعكة كتبت كل أسماء العائلتين بخط صغير، والتفت العائلة تحتفل معًا.

وصل هو إلى المطار وما كادت قدمهُ تلمس الأرض حتى أخرج هاتفهُ يطلبها، وصديقهُ ينظر لهُ ويعلم عدم صبره حتى اليوم التالي أو حتى يعود لقصره.

رن هاتفها وهي تتوسط عائلتها لا تود أن تصمت ولو للحظة في حضورهم عن الحديث، فلم تسمع هاتفها الذي يرن، نظر هو إلى الهاتف وكأنهُ يرجوه أن يجيب، فطلبها مرة أخرى وهو ينظر لصديقه ويقول:

- لن أبيت ليلتي حتى أطلبها للزواج، فلقد أرهقت الصبر بحبي لها.

رن هاتفها ثانية ولم تسمع، فطلبها للمرة الثالثة، سمعت سمر وهي تتحدث مع زها الهاتف فقالت:

- هاتف ياسمين يرن، هي لن تسمعهُ، وإن سمعت لن تجيب الآن، سأرى من الذي يتصل بها.

أمسكت بالهاتف وهي تضحك قائلة:

- ذلك العاشق الولهان.

مرحبًا.

تعجب عندما سمع صوتها في الهاتف وقال:

- سمر! لماذا لا تجيب ياسمين؟

ردت وهي تمزح:

- إنها وسط عائلتها الآن، ولم تسمع الهاتف يا أخي، فلا تقلق عليها.

رد باندهاش:

- عائلتها! أهي هنا في إسطنبول؟

- لقد وصلت والدتها وشقيقتيها اليوم، بل في هذه اللحظة بالتحديد.

ابتسم وهو يقول:

- دعيني أتحدث مع والدتها بسرعة.

كانت مترددة وهي تجيبهُ:

- كما تريد، سوف أوصل لها الهاتف.

سارت بالهاتف حتى وصلت أمام والدة ياسمين، فنظر لها الجميع وتوقفوا عن الحديث متسائلين: لماذا تقف هكذا؟

فقالت بتردد وهي تنظر لوالدة ياسمين تارة ولياسمين تارة أخرى؛ لأنها تعلم لماذا يريد أن يتحدث مع والدة ياسمين، وتعلم ردة فعل كل منهما، ثم قالت:

- أحمد السائق يود أن يتحدث معكِ.

فنظرت والدتها بدورها لياسمين التي أشاحت بوجهها للجانب الآخر طالبة النجدة من شقيقتيها.

فقالت سارة:

- أرجوكِ يا أمي، أجيبي ولا ترفضي طلبهُ أرجوكِ.

والتف حولها الجميع وهي تجيب على الهاتف، ووضعت سارة وهاجر أذنيها بجانب أذن والدتهما التي كانت تدفعهما بيدها لتبعدهما عنها، بينما تضحك سمر، وزها، وياسمين على ما يحدث.

والثاني ينتظر على الهاتف يظن أن سمر ستسافر بالهاتف من تركيا إلى مصر، وكان يضع الهاتف على أذنه، بينما ينظر إلى الساعة التي في يده الأخرى، فهذه اللحظات مرت عليه كسنوات، أخيرًا سمع صوتًا يقول:

- السلام عليكم.

فرد:

- وعليكم السلام، مرحبًا يا أمي، أنا.. أنا.. ياسمين.. ياسمين وسمر ينادونني أحمد، وسأعرفكِ بنفسي عندما نتقابل بإذن الله.

لم ترد والدة ياسمين، بل كانت لا تزال مندهشة، لماذا كلامهُ متقطع هكذا، فقال هو:

- أمي أريد أن أتشرف بمقابلتكِ لأطلب يد الآنسة ياسمين.

فشهقت سارة وقالت هاجر:

- أوه ياسمين إنهُ يطلب يدكِ.

وهي تبتسم في سرور، بينما والدتها تنظر لهما بغضب ليصمتا، وتستمر سمر وزها في الضحك، فأكمل هو:

- أعدكِ يا أمي أن أبذل ما بوسعي لسعادتها.

فلم تتمالك والدة ياسمين أن تتمالك نفسها وقالت:

- هي موافقة عليك من قبل أن تطلب يدها، لا مشكلة، أنا موافقة.

فجذبتها ياسمين بسبب ما قالت، أما هو فكاد يحلق من السعادة وهو ينهي المكالمة بعد أن اتفق على مقابلتها في الغد.

نظر لهُ صديقه الذي كان يستمع للمكالمة وقال:

- إذن في الغد.. فقاطعهُ سليم قائلًا:

- في الغد سأعلمها من أكون، فقد وافقت على الزواج مني وأنا سائق، يا لسعادتي!

وأخذ يسير وهو يمزح في خطواته أثناء المشي حتى وصل إلى السيارة، ثم فتح باب السيارة، ثم وقف وقد أتكأ ذقنهُ على بابها وكأنهُ يتذكر شيئًا ما.

فظن أُوغلو أنهُ تذكر ياسمين المصري، ولكنهُ لم يكن يرغب في مناقشته في الأمر، فهو يود منهُ أن ينسى، ولكن سليمًا ظل مكانهُ للحظة حتى قال له أُوغلو:

- لماذا توقفت؟

فركب السيارة وتبعهُ أُوغلو، ثم نظر لأُوغلو وقال:

- أشعر أنني سمعت صوت هذه السيدة من قبل، لا بل أنا متأكد أنني سمعت صوتها من قبل.

ودعت زها الجميع وهي تقول لياسمين:

- بإذن الله سنعود يوم عقد القران، إلى اللقاء.

غادرت السيارة من أمام القصر، وعيون الذئاب الماكرة تنظر في الظلام، ويقول أحدهم بغضب:

- قبل أن يغادر هؤلاء عادت عائلتها، والآن ماذا سنفعل؟

رد الثاني:

- قبل أن يحل اليوم التالي سنكون قد وضعنا خطة لقتلها، هيا قبل أن تتعقد الأمور وتسير للأسوأ، فما إن عائلتها قد حضرت فهذا معناه أنها لن تغادر.

عيونهُ لا يجرؤ النوم على الاقتراب منها، فهي ترى السعادة في كل مكان، فلا يود أن يغمض عيونهُ حتى لا يحرمها من تلك السعادة التي ترفرف حولهُ وتقترب منهُ، وعيونها مثلهُ وقد لامس قلبها ما لامس قلبهُ من سعادة تنتظر شروق الشمس لتخبرهُ من تكون.

وعيون الذئاب في الظلام تخطط كيف تقتل عيونها البريئة قبل أن ترى تلك الفرحة القريبة، وكيف تطفئ نور الصباح قبل أن يشرق على قلبيهما.

ظل هو ساهرًا يفكر حتى اقتراب الصباح، وكان يمسك هاتفهُ، وفتح ذلك الفيديو، حيث كان ذلك الشاب شقيق زها يتحدث مع ياسمين، فهو قد رأى الفيديو على عجلة أول مرة، ثم أرسلهُ لهُ أُوغلو ذات مرة وهو يمزح معهُ في ماليزيا قائلًا:

- إذا اشتقت لها فشاهدها بهذا الفيديو، قد يساعدك في اتخاذ القرار.

أخذ يشاهد الفيديو بتركيز حتى شاهد ذلك الشاب يعطيها كتابًا ما وهي تأخذ الكتاب وكتبت بهِ شيئًا وأعادتهُ لهُ، وهو ينحني قليلًا كشكر لها، ثم عادت إلى مقعدها، بينما الثاني ينظر لما كتبت بسرور.

وضع الهاتف بجانبه وهو يفكر بعمق فيما قد رأى، ثم سمع صوت والدة ياسمين يتردد في أذنه ويتكرر ويتردد حتى أمسك صوتها بأذيال ذلك الصوت الشبيه الذي سمعهُ من قبل، أجل إنهُ نفس صوت والدة ياسمين المصري التي قابلها من قبل في مصر.

نهض من على سريره غير مصدق ما قد توصل لهُ عقلهُ، وأخذ يعيد التفكير في الأمر، أيعقل هذا؟ أحقًا أم إني مخطئ؟

منذ عام يتعامل معها بقلبه، والقلب ليس لهُ لسان يخبر بهِ ما يجول بهِ من الداخل، فهو أخرس عن الكلام، بارع في المشاعر، يقف خلف الإنسان يجعل شفتيه تبتسم عندما يروي ما يحب، يجعل عيناه تنظر فترى ما يراه القلب جميلًا، ويطلب ما يحب حسيسًا، ومع كل ذلك لا يتحدث بكلمات تخبر بأسراره، ولا ينبه العقل ليفكر فيجعلك تدرك الأمر، فلو أدركت قد تراجعهُ فيما يفعل، وهو كطفل صغير لا يحب المنطق، بل يرغب بمن يحب فحسب.

نكبر نحن ويظل ذلك القلب كطفل بداخلنا لا يكبر أبدًا، بل يظل كطفل صغير يحق علينا إرضاؤهُ من وقت لآخر، وإذا أحزناه أو أثقلنا عليه ظنًا منا أننا نؤدبهُ لنجعلهُ ينضج، يشيخ فجأة ويصبح عجوزًا، ويهرم ويفقد طفولتهُ التي هي سر سعادتنا، سر سعادتنا بكلمة لطيفة خفيفة رقيقه تجعلنا نفرح حين تقال لنا، طفل صغير يفرح بالهدية التي تقدم لنا، حتى وإن امتلكنا مال الدنيا نظل نفرح بالهدية التي يهديها لنا أحدهم.

يمسك بالهدية التي أهدتهُ له ياسمين فيتذكر سعادتهُ بها عندما أهدتها لهُ ليضعها في سيارته التي كان يدعي أنها جديدة عندما كان يدعي أنهُ أخوها.

لقد أعادتهُ هذه الذكرى لما كان يفكر بهِ منذ قليل، وعاد يفكر في الأمر، الآن لقد بدأ العقل يعمل، يحتاج فقط لبعض الوقت ليرى ما كانت ترى عيونهُ، وليستمع بعقله لما كان يسمع وهو مغيب تمامًا خلف القلب.

يتذكر سمر وهي تقول لهُ عن ياسمين المصري:

- إنها صديقتي المقربة وأعرف كل شيء عنها، ثم يتذكر في حفل الزفاف الذي حضرهُ عندما أخبرهُ أُوغلو أن أحد الفتيات كانت تقول إن ياسمين المصري هي صديقة سمر وستحضر حفل الزفاف، أجل فرواياتها تُرجمت للتركية، ولها بعض الجمهور هنا.

ثم يفكر إذا كانت هي لماذا تختبئ ولا تخبرني، وهي تعلم أنني أبحث عنها؟ حقًا لماذا تختبئ؟

شعر بأن عقلهُ يدور داخل رأسه، فقط استيقظ فجأة ليربط لهُ كل الأحداث الغريبة التي كانت تحدث، لماذا غادرت عائلتها شقتها بعد أن زارهم وطلب يدها؟ ولماذا لم توافق أسرتها حتى بمقابلته أو حتى الاعتذار قبل الرحيل؟ ثم يتذكر قول أحد موظفي الشركة بأن أحدهم كان يراقبهُ بسيارة سوداء من بعيد وهو يتنقل! ومن هؤلاء الغرباء الذي صدمهم بسيارته في تلك الليلة بالقرب من قصر ياسمين، ثم اختفوا من المستشفى بدون أن يتركوا أثرًا لهم؟

كل شيء يدور في عقله كشريط سينمائي يراه لأول مرة بعيون كاملة وقد رُتِّبَت أحداثهُ الآن، فيدرك الحقيقة في هذه اللحظة، لو كانت هي ياسمين المصري إذن فهي الآن في خطر، أجل سيقتلونها سيقتلونها، تشتت أفكارهُ، لا يدري هل يتمنى أن تكون هي بالفعل فيكون عثر على حبيبته، أم يتمنى ألا تكون هي لكيلا تُقتل؟

يدور في غرفته وقد تخلى عنهُ عقلهُ مرة أخرى ولا يدري ماذا يفعل، ويمسك بالهاتف يطلبها، لا ترد، ويعيد طلبها وهو يهمس: أجيبي أرجوكِ أرجوكِ أجيبي.

يرن الهاتف في الطابق السفلي بالقصر حيث تركوه بالأمس ونسوا أمرهُ، ويظل يرن، وهي في غرفتها تتزين وتقول لسمر التي بجانبها:

- سيأتي باكرًا، أعرف ذلك، وسأكون في انتظاره في حديقة القصر لأخبرهُ من أكون.

يا أللهِ لا أصدق تلك الفرحة التي أشعر بها، ثم تقوم من أمام المرآة وتمسك بيد سمر ويرقصان معًا في سعادة تفيض من غرفتها لتملأ كل غرف القصر.

يظهران من زجاج النافذة وهما يرقصان كعصفورتين جميلتين تراقبهما عيون الغربان التي تتربص بهما، وقد وصلت تلك الغربان فوق سطح أحد القصور المجاورة المهجور لقصر ياسمين منتظرة الفرصة لقتلها في يوم فرحتها.

ييأس هو من أن تجيب على الهاتف، فيطلب سمر ويرن هاتف سمر الذي هو في غرفتها وهي في غرفة ياسمين، فينظر للهاتف بغضب وكأنهُ هو السبب، ويطلبها مرة بعد مرة، ثم يهرول فيرتدي بسرعة أول ما يجدهُ في وجهه من ملابس، ويهرول وهو ينزل السلم، فيقابلهُ والدهُ، فيقول لهُ:

- إلى أين أنت ذاهب؟ ألن تذهب اليوم لخطبت فتاتك؟

فيجبهُ على عجل وهو يستمر في هبوط السلم:

- أجل يا أبي، أنا ذاهب إليها الآن، اجعل الحرس يلحقون بي بسرعة، بسرعة يا أبي.

ينظر لهُ والدهُ وهو يسرع بالخروج من باب القصر وهو في قمة دهشته، ثم يقول للخادم:

- اجعل الحرس يلحقون بهِ كما أمر، هيا.

يركب سيارتهُ وينطلق كالشعلة التي تحرق نفسها من الغضب، ويمسك بالهاتف وهو يقود السيارة ويتصل بالشرطة بدون أن يفكر هل ما قد توصل لهُ من تخمين حقيقي أم لا؟

بالكاد تلامس السيارة وجه الطريق من سرعة قيادتهِ لها، أما ياسمين فتتجه إلى باب الغرفة، فتقول لها سمر:

- إلى أين؟

فترد في سعادة بنبرة صوت تقترب من الغناء:

- إلى الحديقة، فأنا أود أن أكون أول من يستقبلهُ.

ثم تنصرف في هدوء وهي ترقص في خطواتها، وتخرج سمر وتتجه إلى غرفتها فتجد الهاتف وترى عدد المرات التي طلبها بها أحمد، فتتساءل:

- لماذا كان يطلبني كل تلك المرات ومبكرًا هكذا؟

وتقوم بالاتصال بهِ فيرن الهاتف وهو يقود السيارة على طريق من نار، فيشتتهُ الهاتف عندما رأى أن سمر التي تطلبهُ ويلتقط الهاتف بسرعة ليجيب. فيظهر أمام السيارة فجأة طفل بزي مدرسي، فيوقف السيارة على بعد ذارع واحد منهُ، وينزل من السيارة مفزوعًا ليتأكد من سلامة الطفل الذي تجمد في مكانه على الطريق من الفزعة، ثم ينظر لنفسهِ فلا يجد مكروهًا قد أصابهُ، فيكمل في طريقه وكأن شيئًا لم يكن.

يعود سليم بسرعة ليلتقط الهاتف ليطلب سمر، سمر عندما وجدته لم يجبها تركت الهاتف واتجهت إلى داخل الحمام، يرن الهاتف وهي في الحمام، فتضحك وتقول:

- مجددًا أنت بالتأكيد تمازحني.

وعندما يجدها لا تجيب يقوم بطلب ياسمين، كانت تمسك بمقبض باب القصر لتخرج للحديقة حيث تنتظرها عيون الذئاب لتفترسها ببنادقها، فتسمع صوت ما، تلتفت ما هذا الصوت؟ آه إنه الهاتف، تنظر إلى القاعة وتتذكر أنها تركت الهاتف هناك منذ الأمس، فتغلق باب القصر بعد أن كانت قد فتحتهُ، وتعود حيث صوت الهاتف يرن.

هو لا يزال يقف في الطريق وقد نفذ صبرهُ من كثرة توترهُ؛ لأنها لا تجيب، وياسمين تبحث عن الهاتف الذي كان تحت أحد المقاعد، ما إن تمسك بهِ حتى يكف هو عن طلبها، لقد عاد ليقود السيارة، وتقوم سمر بطلبه بعد أن خرجت من الحمام، فتطلبهُ ياسمين فتجدهُ مشغولًا، وهو يجيب:

- ألو سمر، أخبريني أرجوكِ، هل ياسمين هي ياسمين المصري؟

وتضحك الثانية بدلال وهي تجيب:

- هل لا زلت تحب ياسمين المصري؟ إذن لماذا تخطب ياسمين صديقتي؟

فيرد هو في غضب:

- سمر أجيبيني، أنا لا أمزح أجيبيني هذا ليس وقت مزاح.

وهي تتردد لأن صديقتها هي من تود أن تخبرهُ بهذه الحقيقة الجميلة التي يبحث عنها منذ أعوام، فلا تجيب، فيصرخ بها قائلًا:

- لو كانت هي ياسمين المصري فهي في خطر، حذِّريها أرجوكِ.

ثم يلقى بالهاتف في غضب على مقعد السيارة، ويقود السيارة بأقصى سرعة، تطلبهُ ياسمين فلا يلتفت للهاتف، فقد طفح كيلهُ ويظن أنها سمر ويستمر في القيادة.

بينما ياسمين تأخذ هاتفها وتتجه إلى باب القصر للخروج، وسمر في غرفتها تردد:

- ماذا؟ هي في خطر؟ كيف علم بذلك؟

فتسرع لباب الغرفة للخروج محاولة اللحاق بياسمين لتحذرها.

خرجت ياسمين من باب القصر وتوقفت لحظة تغلق الباب خلفها، فتلقفتها عيون القناص تراقبها، فأصبحت في مرمى بندقية القناص الذي ركز بندقيتهُ على رأسها ووضع إصبعهُ على الزناد ليطلق رصاصتهُ، فتتحرك ياسمين فجأة وهي تجرى بسعادة في الحديقة فتكون خلف أحد الأشجار الذي حجب رؤيتها عنهُ.

ينظر بعيونه التي لا تكاد تظهر من ذلك القناع الأسود الذي يغطي وجههُ، ثم يتحرك على سطح القصر محاولًا اللحاق بها لتكون في مرماه، ولكنها تتحرك في الحديقة فتكون خلف تلك الشجرة، ثم بجانب

ذلك التمثال، ثم خلف غرفة الحديقة فيصعب عليه أن تكون في مرمى بندقيته، فيتصل بباقي الذئاب وهو يقول:

- لا أستطيع تحديد مكانها، هيا هاجموها مباشرة، فهذه هي الفرصة الأخيرة لقتلها بمفردها.

فيخرجون من سيارتهم كخروج الذئاب من الجحر بأقنعتهم السوداء، ويتجهون إلى سور القصر ويحاولون الالتفاف حول سور القصر محاولين تتبعها لقتلها.

سليم بسيارته قادم فيراهم من بعيد وهم يحاولون الاقتراب من السور، فيقود سيارتهُ باتجاههم بأقصى سرعة فيصدمهم عن عمد بالسيارة؛ فيبعثرهم في الهواء على كل جانب، ثم ينزل من السيارة ويسرع في الجري في اتجاه القصر لأنهُ يعلم أن هناك المزيد منهم.

حراسهُ الشخصيين على وشك الوصول، ويدخل هو الحديقة ينظر يمينًا ويسارًا، ويصيح:

- ياسمين، ياسمين.

بينما تخرج سمر من باب القصر من الجانب الآخر، وتصيح:

- ياسمين، ياسمين، احذري، احذري وتصرخ بأعلى صوت:

- ياسمين احذري.

يسمع كل من في القصر الصراخ، ياسمين، ياسمين، فينهض من في الفراش في فزع.

تسمع والدتها وهي تتلفت في غرفتها على مصدر ذلك الصياح فتسمع صوت رصاصة قد أُطلقت، فتفزع وتقول:

- يا ساتر يا رب، يا ساتر يا رب، وتهرول بالخروج من الغرفة تقول:

- ماذا هناك؟ ماذا هناك؟

وسارة وهاجر تنظران من النافذة، ثم تصرخان في فزع وتركضان في اتجاه الحديقة، ووالدتهما تصيح بهما وهي تهبط السلم خلفهما:

- ماذا حدث؟ ماذا حدث؟

ينظر سليم وهو مفزوع في اتجاه ياسمين، فيجدها تصرخ: سمر، سمر.

لقد أصابت الرصاصة سمر وسقطت على الأرض كعصفورة ذبيحة بين الأعشاب.

وسط عيون الجميع التي تبكي وصلت سيارة الإسعاف تنقلها للمستشفى، ويسوق رجال الشرطة أولئك المجرمين بعد أن تم تقييدهم؛ الأصحاء منهم أو من دهسهم سليم بسيارته.

يعم الصمت قاعة المستشفى أمام حجرة العمليات لا تسمع سوى صوت وقع أقدام الممرضة التي تسير في الممر، عقول الجميع قد سلبتها سمر معها وهي في غرفة العمليات، فلا أحد يفكر فيما حدث أو لماذا حدث هذا الآن؟ هناك شيء أعظم قسوة يشغل العقول والقلوب.

يفتح الطبيب باب الغرفة فيقف الجميع ويهرول نحوه؛ سليم، ياسمين، هاجر، سارة، شقيقها محمد، زوجتهُ زها، وينظرون لهُ متسائلين عن

نتيجة العملية؟ الكمامة تغطي وجههُ فلا يمكنهم رؤية تعبيرات وجهه ليكتشفوا ماذا تخفي، عيونهُ بالكاد تُرى، وصمت الجميع بعد سؤالهم خوفًا من إجابة لا تُرجى، بل تتعلق بهِ العيون كطوق النجاة وسط أمواج الخوف والقلق التي تخنقهم وتكتم أنفاسهم، ثم يمد يدهُ ليزيل الكمامة من على وجهه فيشرق وجههُ بابتسامة ساطعة وهو يقول:

- لقد نجحت العملية، وأخرجنا الرصاصة، والفتاة بخير.

تنهمر دموع الفرح من كل العيون، وتحتضن ياسمين سارة وهاجر، وتحتضن زها محمد، ويبكي الجميع، وسطهم سليم الذي كان ينتظر تلك اللحظة التي يخبر بها ياسمين من يكون، ولكن سمر سلبت هذه اللحظة أيضًا بتضحية غير متوقعة من فتاة تكذب في كلماتها وتصدق في أفعالها ومشاعرها.

وبعد أن اطمأن الجميع عليها تحدث أحمد وياسمين معًا ذلك الحديث الذي طال انتظارهُ، إنهُ وقت الحقيقة الجميلة.

كستار المسرح الذي يفتح ليكشف للجمهور عن نجمهم المحبوب فترتسم الابتسامات وتتعالى صيحات الهتاف والتصفيق، فتح الستار عن حقيقة ياسمين المصري إلى سليم، وحقيقة سليم سليمان إلى ياسمين، كخروج نجم المسرح إلى جمهوره وهو واثق من شوق جمهوره لهُ وعشقهم وحبهم لهِ.

أضاءت حقيقة ياسمين المصري في عيون سليم، وتغنى سليم بحقيقته لياسمين، وما أجملها من أنشودة عزف موسيقاها القدر وهو يراهم

كالزهور في منبتها ترتوي بالحب الطاهر لتنمو وتتفتح بحب كل قلب منهما.

لقد عشق عبيرها من قبل أن يرى جمالها، وعشقتهُ هو منفردًا دون أن تعلم أنهُ صاحب البستان، فقد كانت تظن أنهُ مركب نجاة في وسط رمال الفقر لا يستطيع الإبحار، فإذا بها تجدهُ القبطان، والربان، وصاحب السفينة، وما أجمل القدر الذي جمعهما معًا!

وقد توج حبهما القدر بما وضع لهما من صدف، إنهُ فقط كان كالأب الذي وضع ابنهُ في تجربة تبدو صعبة، ولكنها كانت تروي بذور الحب التي بداخله لتنبت بالزهور.

عدة أيام تعافت سمر ودخل الجميع لزيارتها وهي على سريرها تبتسم وجالسة نصف جلسة على السرير ومتكئة، والتفوا حولها من كل جانب تغمرهم السعادة بها، وياسمين ملتصقة بها تقول لها:

- حمدًا لله على السلامة يا شقيقتي التي لم تلدها أمي.

وسليم على الجانب الثاني، فتقول سمر وهي تود في تغيير هذه اللحظة المؤثرة إلى مزحة:

- ياسمين هل تعتقدين أن تلك الرصاصة التي تلقيتها قد كفرت ذنوبي في الكذب على سليم سليمان؟

فانفجرت ياسمين بالضحك وهي تنظر لهُ وهو غارق في ضحكاته على قولها، بينما هي تنظر لهما في اندهاش، فقالت ياسمين:

- سمر كنتِ تكذبين كثيرًا، ولكن لا كذب من كذبكِ يضاهي كذبة أحمد.

نظرت لهُ ثم لها وقالت:

- أحمد! ما بهِ؟

وكان هو يبتسم، فضحكت ياسمين وهي تنظر لهُ وتقول:

- استعدي للمفاجأة الكبرى، أحمد هو سليم سليمان، أجل لقد كان يكذب علينا ونحن نظن أننا نكذب عليه.

دارت بعيونها في الغرفة، ثم قالت:

- أقسمي على ما قد ذكرتِ للتو.

رفعت ياسمين يدها للأعلى كما يرفعها أحدهم أمام المحكمة وقالت:

- أقسم على ما قد ذكرت، إنهُ سليم سليمان.

نظرت لها سمر، ثم نظرت لهُ وهو يضحك منتظر ردة فعلها، ثم نظرت لها، ثم لهُ، ثم لها، ثم.. فقدت الوعى، فصرخ كلاهما فوقها وهما يلمسان وجهها محاولين إعادتها لوعيها:

- سمر، سمر، سمر.

فرفعت رأسها من على السرير وهي تقول:

- لقد كذبت كليكما مرة أخرى، ولكن يا أللهِ لا أستطيع تصديق ما قد ذكرتِ للتو، كنت أكذب عليه كل ذلك الوقت وهو يعلم كذبي! أشعر أنني أغبى كاذبة في الكون.

فقالت ياسمين:

- لقد كنتِ قلقة من أن تخبري أُوغلو بحقيقتكِ، الآن ليس عليكِ القلق، فهو يعلم كل شيء.

نظرت لسليم وهي تقول:

- حقًا! هل يعلم كل شيء؟

ابتسم سليم ابتسامة صافية وهو يقول:

- بالطبع يعلم كل شيء؟

فأكملت سمر:

- وأحبني وأنا كاذبة؟

فقال سليم:

- لولا كذبتكِ لما اجتمعنا، رُبَّ ضارة نافعة.

فقالت بنبرة صوت متوترة:

- لا أعلم هل أفرح أم أكون خجلة من كذبي أمامهُ؟

فاقتربت منها ياسمين وهي تقول برفق وتضع يدها على كتفها:

- إذا توقفتِ عن الخطأ فلا تخجلي منهُ.

فمازحتها سمر قائلة:

- إذن ظللت أنا أكذب لعام لكي تتزوجا أنتما في النهاية! لقد حققت الكذبة هدفها، ولكن حدث خطأ صغير، هو بدلًا من أن تحقق الهدف لي انزلقت إلى صديقتي المقربة.

فضحك الاثنان من قولها، ثم قال سليم:

- لقد جلبت لكِ كذبتكِ مدير الشركة، وجلبت لها براءتها صاحب الشركة.

فأكملت هي قائلة:

- ربما كذبة أخرى ستفي بالغرض.

فضربتها ياسمين على رأسها وهي تقول:

- كذب مجددًا.

وظل الثلاثة يمزحون ويتحدثون عن موعد الزفاف، فتقول ياسمين:

- سنتزوج في يوم واحد ما رأيكما؟

فيرد سليم:

- سيكون هذا رائع.

فتقول سمر:

- سأبدأ في التخطيط للزفاف من الآن.

كانا جالسين جنبًا إلى جنب في حديقة القصر بعد عقد القران، بينما والدتها، وسارة، وهاجر ينظرون من النوافذ ويراقبون.

وهما جالسان ومع ذلك لا يتحدثان، بل كل منهما غارق في بحر أفكاره، حتى لاحظ هو أنه قد أبحر بعيدًا عن حبيبته التي بجانبه، فقال معتذرًا:

- آسف يا حبيبتي لقد شرد تفكيري قليلًا، ولكن قلبي بالقرب منكِ.

فابتسمت هي وقالت:

- لا عليك، فلقد شرد تفكيري أنا أيضًا.

- وفيما كان شرود عقلك؟

- في صديقتي سمر.

-يا لهذه السارقة! فهي من كانت تشغل عقلي الآن، نحن معًا، ومع ذلك سرقت تفكير كلينا.

التفتت لهُ بعد أن كانت تنظر إلى الحديقة وهي تبتسم وقالت:

- حقًا كنت تفكر بها؟ أخبرني بماذا كنت تفكر؟

- سأخبركِ بعد أن تخبريني أنتِ أولًا.

ابتسمت وقالت:

- حبيبي لقد رأيتَ من سمر الجانب المظلم فقط، ولكن لها جانب مشرق قد رأيته أنا لسنوات، لا أبالغ في الأمر، فهي من أحسنت إدارة موهبتي،

وعرفت كيف تستخدمها، وبدونها ما كنت أنا ياسمين المصري التي تقف أمامك الآن.

رد هو بابتسامة المعاتب وقال:

- لقد أسأتِ الظنَّ بي، فأنا أنا لست غاضبًا من سمر بسبب كذبتها الشهيرة، فلقد صححتُ الأمرَ للناس بطريقة ذكية، حيث أخبرتهم أن الأمر اختلط على الصحفيين؛ لأنني كنت خطيب صديقتها ومن هنا انتشرت تلك الإشاعة.

صمت للحظة ثم قال:

- ولولا هذه الكذبة لما استطعت أنا الوصول إليكِ، ولما أُتيحت لكِ الفرصة لتتعرفي عليَّ عن قرب كإنسان، وليس كمجرد رجل ثري يرغب في الزواج من روائية شهيرة، لقد اجتمعنا سويًا ورأى كلٌّ منا الآخر بعيدًا عن المظاهر، والثراء، والشهرة، وأحببتِني كإنسان، وأحببتكِ كفتاة بريئة، وهي من تسببت في كل هذا دون أن تدري.

- إذن فبم كنت تفكر؟

- كنت أفكر أن أهديها شيئًا ثمينًا كشكر لها هي وأُوغلو أيضًا، فكلاهما مرتبطان ببعضهما.

- أجل، ما رأيك بهذه الهدية؟ وأمسكت ياسمين بالهاتف فقربتهُ لينظر إلى صورة ما وهي تقول:

- منذ القِدم تتمنى أن يكون لها هذا الشيء.

- يا لها من فكرة رائعة، أنا موافق.

- إذن سنجعلها مفاجأة لها في يوم الزفاف.

- اتفقنا يا حبيبتي.

أمسكت بحقيبتها وهي تنظر لهُ وتبتسم ببراءة وقالت:

- أنتَ أيضًا لك هدية عندي.

- ما هي؟ فأنا أحب الهدايا خاصة منكِ.

فأخرجت من حقيبتها رواية معطرة بعطر ذي رائحة جميلة تستطيع أن تشم رائحتهُ عن بعد، ومغلفة، ومربوطة بشريط أحمر لامع من الأربع جوانب، ويجتمع وسط الرواية بوردة حمراء جميلة، وقالت:

- هذه الرواية كتبتها هدية لك منذ أن ذكرت أنك لا ترتوي من كلماتي، وكل كلمة فيها قد رويتها بحبي لك، إنها ليست مجرد كلمات عابرة، إنها مشاعر مسافرة من قلبي إلى قلبك، عندما ستقرأها ستسمع بها لحن حبنا، وسيعانقك عطر شوقنا، وسترى كيف نمت زهور حبنا في حديقة العشق معًا.

ابتسم ومد يدهُ وأمسك بالرواية ينظر اسمها، فوجدها كُتب عليها (سأروى قصتي)، ثم قال:

- لا لن أقرأها.

تعجبت وقالت:

- لماذا؟

أمسك بيدها وهو يقول:

- أنتِ من ستقرئينها لي بصوتكِ العذب، هذا شرطي.

ابتسمت بحب وقالت:

سأبدأ بقراءتها لك منذ يوم الزفاف وأنا بالفستان الأبيض.

في نهاية اليوم عادت ياسمين إلى القصر بعد أن قضت اليوم بأكمله مع سليم في الحديقة، واتجهت إلى غرفة سمر، فدخلتها وقالت:

- إنكِ ترغبين في الثراء منذ سنوات، إليكِ خطة ستجعلنا جميعًا أثرياء، ولكنها ستحتاج لبعض الوقت.

ردت سمر وهي تمصمص شفتيها مصدرة ذلك الصوت الذي يدل على الضجر، ثم قالت:

- لقد فشلت كل خططي للثراء السريع، وليس أمامي إلا خططك، هيا أفحميني.

ضحكت ياسمين، ثم قالت:

- أنا أكتب، وأكسب المال، وأدخرهُ منذ سنوات حتى أستثمر هذا المال في مشروع ما، وقد عثرت على هذا المشروع الآن، إنهُ سلسلة من المطاعم التي تقدم الأطعمة التي تميز بها شقيقكِ، فهي مميزة بالفعل.

لم تستوعب سمر الفكرة، فقالت: لم أفهم.

وقفت ياسمين وأخذت تتحدث بحماس وهي تفتح ذراعيها بسعادة وثقة تامة وتقول:

- سنقوم بتأسيس شركة مطاعم عبارة عن شراكة بيننا نحن الثلاثة؛ أنا سأشارك بالمال، وأخوكِ بخبرته في تقديم الأطعمة المميزة وتعليم الطهاة الذين سيعملون في المطاعم، وأنتِ في الإدارة؛ فأنتِ رائعة في وضع الأشخاص في مكانهم المناسب والقيام بأكثر من أمر، فما رأيكِ؟

غمر الانبهار وجه سمر وقالت:

- بالطبع موافقة، وسأقنع أخي، هل سيكون لنا نسبة من الربح؟

- بالتأكيد، لكما نصف الأرباح، ولي النصف الآخر.

ردت سمر وهي تضع يدها على رأسها قائلة:

- لقد أهدرتُ كل سنوات عمري السابقة دون التفكير في الأمر، لو بدأت مثلك في الادخار منذ تسع سنوات واستغلال مهاراتي لكنت الآن في وضع أفضل، أليس كذلك؟

ردت ياسمين وهي تنظر في عيونها بحب:

- ولو بدأتِ الآن سيكون وضعك أفضل في المستقبل.

- بالفعل هذه نصيحة جيدة، سأبدأ الآن في الادخار والعمل بجد وكل شيء، حتى الزواج سأتزوج.

ثم نظرت سمر إلى هدية خطيبها أُوغلو وقالت:

- هل تعلمين يا ياسمين؟ كنت دائمًا أفكر في الزواج من أجل الثراء، لم أكن أعلم أن الزواج من أجل شخص أحببتِه، وشخصيتهُ رائعة، ويقبلكِ على عيوبكِ شيء أجمل، ماذا لو حدث معنا هذا منذ سنوات؟ ألم يكن هذا أفضل؟

اقتربت منها وهي تضع يدها وتستند على كتفها برأسها وتقول:

- لا يا صديقتي، كل رزق يأتي في وقته المناسب، تخيلي لو أن هذا حدث معنا في الجامعة؟ كنا سنتزوج وننشغل بالحياة الأسرية، ولما بحثتُ أنا عن عمل، ثم اتجهت للكتابة التي أوصلتني إلى ما أنا عليه الآن، لقد صنعتُ حياةً مهنيةً رائعةً، وأصبحت ثريةً، وتحسنت حياة عائلتي بفضل الله، وأنتِ حدث لكِ نفس الأمر؛ اكتسبتِ مهارات ما كنتِ لتتقنيها لو لم تعملي، ثم تحتاجي لها، والآن جاء لنا الزواج ونحن نمتلك الوقت والنضج العقلي، بل والعاطفي، وحياتنا المادية والمهنية مستقرة.

نظرت لها سمر وهي تقول:

- لا أدري كيف تلاحظين كل هذه الأمور بدقة؟ إنكِ مبدعة في كلماتك، وفي أفكارك، وفي ملاحظاتك أيضًا.

زُيّن القصر بالزهور والبالونات، وتزين القصر من الداخل بالفرحة، وحضر المدعوون من كل مكان من مصر ومن تركيا حتى غدت حديقة القصر مليئة بهم.

ارتدت فستانها الأبيض وحلقت بأجنحة سعادتها إليه، وارتدى بدلته وامتطى حصان شوقه لها، وصفق الجميع لخروجهما، وأحاط بها

بذراعيه وسط الزهور التي تحيط بها في حديقة القصر. هو يبتسم ولا يتحدث، وهي تتبسم ولا تتحدث، بل ينطق قلب كل منهما بعيونهما بما قد كتبت في روايتها عنهما، فيسمع صوت قلبها يقول:

- في تجارب حياتي رأيت الناس، وفي كتاباتي رأيت موهبتي، وفي عيونك رأيت نفسي كأنثى.

فترد عيونهُ عليها قائلة:

- تمنيت أن تحبيني كإنسان عادي لأرى هل أستحق حبكِ كإنسان؟ وعندما أحببتِني أصابني العجب العجاب مما فعلتِ.

- أتعجب من حبي؟ أم من حبك؟ وما في الحب من منطق نسأل عنهُ، تمنيت أن تختارني زوجتك بعيدًا عن الشهرة، أو عن النجاح، أو أي شيء آخر يحيط بي؛ لأن كل هذا يحيط بي، أما أنا فهي من ستحيط بقلبك إلى الأبد، وتلك الأضواء التي تحيط بنا إنما هي من صنع البشر، أما حبنا فهو هبة لنا من رب البشر.

ويرد باسمًا بعيونه قائلًا:

- لقد بحثت عنكِ بين اللؤلؤ، ونسيت أنكِ أثمن، وبحثت عنكِ على وجه القمر، ونسيت أنكِ أجمل، ثم أخبرني قلبي بأنكِ تسكنين بجانبي في خجل.

وبالقرب منهما تتمايل سمر مع أُوغلو بفستانها الأبيض وتترد في أذنيها كلمات ياسمين كالغناء تقول:

- من يحبكِ سيحبكِ على عيبكِ، وسيقبلكِ على نقصك، ولن يطلب منكِ الكمال، بل سيرى نقصكِ تمام الكمال.

وهي تضحك وتقول في سرها: أحبني وأنا كاذبة ويعلم أنني كاذبة، ومع ذلك أحبني.

وتتردد في آذان أُوغلو كلمات ياسمين كتغريد العصافير تقول:

- من يحبكِ سيمحو شروطهُ من أجلك، وسيغير حياتهُ ليجعلكِ أسعد.

وعندما حل المساء وحان موعد تحليق الطيور إلى أعشاشها واتجه أُوغلو يمسك بسمر للخروج من القصر وجد سليم وياسمين يقفان أمامهما ويقولان:

- إلى أين أنتما ذاهبان؟

فأجابت سمر بتعجب:

- إلى منزلنا!

فقال سليم: أعتقد أنكما أخطأتما في العنوان.

ثم نظر إلى ياسمين التي أظهرت من خلف فستانها الأبيض هدية، عبارة عن علبة بيضاء مزينة بشريط أحمر، وقالت:

- هذه هدية من سليم لكما كشكر على أغلى صداقة قد حظينا بها.

أمسكت سمر بالهدية ويملأ عيونها هي وأغلو الفضول، ثم فتحتها فوجدت بها ورقة، قرأت ما بها ونظر كل منهما للآخر، وشهقت بفرحة وهي تقول:

- ماذا؟! لا يمكنني تصديق ذلك!

ويكمل أوغلو:

- لا هذا مبالغ فيه، لا يمكننا قبول هذا القصر كهدية، هذا كثير للغاية!

فيحتضنهُ سليم وهو يقول:

- لا شيء يستطيع تقدير صداقتنا، إنها أغلى من كل القصور، ثم نظر لياسمين وهو يقول:

- هذه فقط هدية صغيرة لإهدائكِ لي حبيبتي ياسمين.

تعانق الأربعة، ثم حلق سليم بعصفورته لقصره الكبير، وعاد أُوغلو وسمر إلى قصرهما الصغير، واستمرت قصة الحب، والكفاح، والنجاح حتى أصبحت ياسمين ليست فقط روائية، بل وسيدة أعمال تمتلك مشاريع في مصر وتركيا، وسمر كانت خلفها بخطوتين؛ لأنها شريكة معها في مشاريعها، وفي كل مساء كانت ياسمين تحكي لأحفادها جزءًا من روايتها (سأروي قصتي)، وتحكي لهم كيف أحبت جدهم وتزوجتهُ.

تحياتي لكم..

المؤلفة

منة طارق سليم

اذا راقت لكم الرواية سنسعد بتقييمها على موقع جودريدز